إعلام المسلمين
ببعض مقالات التجانيين

تأليف

الشيخ إبراهيم القطان الأردني

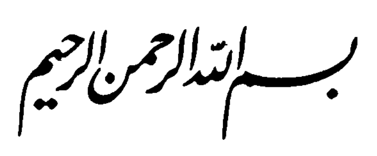
أحد أعلام القرن الرابع عشر
ومن أعيان تلامذة ابن مايابى الجكني

قدم له ووضع هوامشه الفقير إلى عفو الله تعالى:

المختار بن عمر حسين

الطبعة الأولى

١٤٢١هـ - ٢٠٠٠م



اللهم صلى على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

﴿فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ثم لا يجدوا في أنفسهم حرجاً مما قضيت ويسلموا تسليماً﴾

النساء – ٦٥

المقدمة

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله. وبعد:

تعتبر الطريقة التجانية من أواخر الطرق الصوفية ظهوراً في القارة الإفريقية[١] وأكثرها انحرافاً عن منهج أهل السنة والجماعة العقدي في نفس الوقت[٢]. إذ يمكن القول بأنها امتداد للطريقة الحاتمية[٣] في عقيدة الاتحاد، مع إضافات أخرى زعم مؤسسها أن الرسول ﷺ أخبره بها يقظة لا مناماً، حسب ما كتبه عنه خليفته علي حرازم[٤]، جامع كتاب جواهر المعاني، لا تقل فساداً عن عقيدة الحلول الحلاجية[٥] الإلحادية، ومصداقاً لقول الرسول ﷺ: «يحمل هذا الدين من كل خلف عدوله، ينفون عنه تحريف الغالين وانتحال المبطلين وتأويل الجاهلين، وفي رواية: ودعوى الجاهلين»[٦]. فقد انبرى لبيان فساد عقيدة هذه الطائفة من طوائف المتصوفة بعض العلماء الذين عاصروا ظهورها، أو كانوا قريبين من ذلك. وكان من بينهم من وقع

---

(١) بعد رحلة أحمد التجاني الثانية إلى فاس، سنة ١١٩١هـ ظهرت الطريقة التجانية في أواخر القرن الثاني عشر الهجري.

(٢) ستقف على ما زادوه من البدع في أصل الكتاب.

(٣) الحاتمية: نسبة لمحمد بن علي بن محمد الحاتمي، الطائي الأندلسي، الحلولي المعروف بابن عربي، المتوفى سنة: ٦٣٨ للهجرة.

(٤) هو علي بن العربي برادة، المغربي الفاسي، أكبر خلفاء أحمد التجاني، توفى سنة ١٢١٧ للهجرة. انظر: كشف الحجاب ص: ٦٨ – ٩٥.

(٥) نسبة إلى الحسين بن منصور الحلاج الحلولي، المقتول ببغداد سنة: ٣٠٩ للهجرة. انظر: البداية والنهاية لابن كثير ١١/ ١٩١ والأعلام للزركلي ج ٢، ص: ٢٦٠.

(٦) انظر شرف أصحاب الحديث، للخطيب البغدادي ص ١١، ومشكاة المصابيح ج ١ ص ٨٢ – ٨٣، قال الألباني: مرسل، وقد روي موصولاً من طريق جماعة من الصحابة، وصحح بعض طرقه الحافظ العلائي في بغية الملتمس ص ٣ – ٤. انظر: حاشية المشكاة ج ١ ص ٨٢ – ٨٣، وانظر: عارضة الأحوذي بشرح صحيح الترمذي للإمام ابن العربي المالكي ج ١ ص ٣.

في حبائلها وتداركته عناية الله، فتاب منها، وكتب عنها ما علمه من فساد عقائدها[٧].

ومن أبرز العلماء الذين كتبوا عن التجانية، وبينوا انحرافاتها، ممن وقفت على مؤلفاتهم: محمد الخضر بن مايابى الشنقيطي، وإبراهيم القطان الأردني، وادجيجه الشنقيطي، ومحمد تقي الدين الهلالي الحسني المغربي، وعبدالرحمن الوكيل المصري، وعبدالرحمن الإفريقي. والحقيقة أن فساد بعض الطرق الصوفية – خاصة بعد تأثرها بالفلسفات الإلحادية – أمر جلي لا يخفى على من له إلمام بمنهج أهل السنة والجماعة العقدي.

وسوف تقف – إن شاء الله – على نماذج من أقوال كثير من أعيان طوائف المتصوفة قريباً تؤكد صحة ما ذكرت. والسبب المباشر – وبلا شك – في هذا الانحراف الخطير، هو إهمال الكتاب الحكيم والسنة المطهرة، فالأمر نتيجة حتمية لهجر الوحيين، والاعتياض عنهما بالإلهام والذوق، والرأي أحياناً، ﴿ أفلا يتدبرون القرآن أم على قلوب أقفالها ﴾[٨]، إذ لا بد لمن أهمل الدليل من الكتاب والسنة أن ينحرف انحرافاً قليلاً كان أو كثيراً، ورضي الله عن شهيد المحراب، أمير المؤمنين عمر بن الخطاب حيث يقول: «إن أصحاب الرأي أعداء السنن... فإياكم وإياهم»[٩]. ورحم الله القائل[١٠] «الإسناد من الدين، ولولا الإسناد لقال من شاء ماشاء»[١١].

(٧) من العلماء الذين اعتنقوها ثم تركوها بعد حين، لما ظهر لهم فسادها: محمد تقي الدين الهلالي المغربي، وعبدالرحمن الإفريقي فيما بلغني، ومحمدٌ بن أحمد بن مود الجكني الشنقيطي.

(٨) سورة محمد الآية رقم: ٢٤.

(٩) جامع بيان العلم وفضله، ج ٢ ص ١٣٥ لابن عبد البر.

(١٠) القائل هو أبو عبدالرحمن عبدالله بن المبارك الحنظلي بالولاء المروزي الحفاظ المجاهد له مناقب كثيرة، توفى بهيت على الفرات سنة ١٨١ للهجرة. أنظر البداية والنهاية لابن كثير ٢٤٢٨/١٠ والاعلام للزركلي ١١٥/٤

(١١) انظر الأثر في صحيح مسلم ج ١ ص ١٢٠.

لمحة عن نشأة الصوفية:

وقد ظهر التصوف مبكراً في القرن الثاني الهجري، وكان في بداية أمره غير مخالف لتعاليم الإسلام مخالفة تذكر - والإسلام في غنى عنه على أي حال - لذلك قال أبو زرعة الدمشقي للسائل لما سأله عن كتب الحارث المحاسبي: إياك وهذه الكتب، قيل له في هذه الكتب عبرة، قال: من لم يكن له في كتاب الله عبرة فليس له في هذه الكتب عبرة[١٢].

وبمثل قوله أو قريب منه قال الإمام أحمد لما سئل عن الحارث حيث قال: حذروا الناس من الحارث المحاسبي أشد التحذير[١٣].

وكان من بين معتنقي هذا الفكر أعلام، أمثال: داوود الطائي، والسري السقطي، ومعروف الكرخي، والجنيد بن محمد، وأضرابهم. لكن سرعان ما تأثر أصحاب هذا الفكر بالعقائد المخالفة لعقيدة الإسلام، وبلغ التصوف الفلسفي غايته وذروته من حيث العقيدة والتشريع في نهاية القرن الثالث الهجري - كما يقول بعض الباحثين - حيث استطاع الحسين بن منصور الحلاج أن يظهر عقيدة الحلول على الملأ في بداية القرن الرابع الهجري، فأفتى علماء العصر بكفره فقتل سنة ٣٠٩ للهجرة وصلب على جسر بغداد[١٤]، ولم يثن ذلك من عزيمة الفكر الصوفي؛ فظل يواصل الانتشار إلى اليوم.

---

(١٢) تلبيس إبليس لابن الجوزي، ص: ١٦٧.

(١٣) المصدر السابق، ص: ١١٧.

(١٤) البداية والنهاية لابن كثير ج ١١، ص: ١٩١.

وبعد تأثر الفكر الصوفي بالنحل المخالفة للإسلام[١٥] أصبح كثير من دعاته مبتدعة يتظاهرون بالدين ليضلوا المسلمين ويأكلوا أموالهم بالباطل، وليتخذوا منهم أنصارا وأعواناً[١٦].

والواقع أن طوائف الصوفية يشتركون في كثير من الانحرافات، بل قال أحد الباحثين: لا يكون مجانباً للحق من قال إنهم أبناء علات[١٧]، وذلك ما عبر عنه أحد العلماء في رد له على التجانية بقوله: ولكن ينبغي أن يعلم أن التجانيين لم يستقلوا فيما يعتقدونه من أفكار بل إنهم يشتركون فيها مع أغلب الطوائف الصوفية، وليس هناك سوى بعض الفروق القليلة، فالرد على التجانية هو رد على الصوفية بكل فرقها وطوائفها، إذ هي جميعاً تشترك في معنى عام، وتختلف في بعض الجزئيات[١٨].

ويقرر هذا المعنى أحد أعلام الطريقة القادرية في المغرب[١٩] بقوله: ... لأن الطرق وإن تعددت واختلفت، فمرجعها كلها لأمر واحد[٢٠]

---

(١٥) من أراد معرفة النحل التي تأثر بها الفكر الصوفي فليراجع الكتب التالية: تنبيه الغبي إلى تكفير بن عربي المسمى بمصرع التصوف للبقاعي، مقدمة المحقق عبدالرحمن الوكيل، والصلة بين التصوف والتشيع للشيبي، ومقدمة ابن خلدون.

(١٦) قال مؤلف الخريدة محمد فتحا وهو من أعيان التجانية: ثم من الأدب على من يصحب الأولياء ألا يخص نفسه عنهم بمأكل ولا مشرب ولا منكح. ج ٣ ص ٩٣. ويقول الشيخ عبدالحي الكتاني، شيخ الطريقة الكتانية في زمنه، في مناظرته مع محمد تقي الدين الهلالي: كل الطرائق باطلة، وإنما هي صناعة للاحتيال على أكل أموال الناس بالباطل وتسخيرهم واستبعادهم. راجع المناظرة المذكورة في كتاب الفكر الصوفي في ضوء الكتاب والسنة، لعبدالرحمن عبدالخالق، إن أردت الاستزادة ص: ٧١٥.

(١٧) قال في القاموس: بنو العلات، بنو أمهات شتى من رجل واحد. القاموس المحيط ٤/ ٢٩.

(١٨) التجانية (دراسة لأهم عقائد التجانية على ضوء الكتاب والسنة ص د.

(١٩) هو الشيخ ماء العينين محمد المصطفى بن محمد فاضل، المتوفى سنة: ١٣٢٨ للهجرة.

(٢٠) نعت البدايات للشيخ ماء العينين بن محمد فاضل ص ١١.

ويزيد الشيخ هذه العبارة إيضاحاً في موضع آخر من كتابه المشار إليه في الهوامش الآتية قريبا حيث يقول: الفائدة الثالثة: في الأوراد المشهورة التي تؤخذ في بلادنا المغاربة نقلتها توسعة على كل آخذ بها، لأن كلاً منها فرع مما عندنا من فضل الله.

إلى أن يقول: فمن ذلك ورد التجانية وله فضل عظيم[٢١].

لكن لا يسع الباحث المنصف إلا أن يقول إن طوائف المتصوفة وإن اشتركت في الكثير فأكثرها انحرافاً عن الجادة هي طائفة التجانية، لذلك كثرت الكتابات حولها تحذيراً للمسلمين من بعض عقائدها التي تضمنتها أهم مؤلفات أعيان الطريقة، ككتاب جواهر المعاني الذي جمعه علي حرازم من أقوال شيخه، ورماح حزب الرحيم لعمر سعيد الفوتي، والجامع لما افترق لمحمد المشري، والإفادة الأحمدية للطيب السفياني، وبغية المستفيد لمحمد العربي السائح، وميزان الرحمة لابن انبوجا الشنقيطي التشيتي، والتي لا يشك مسلم مميز في أنها مخالفة لهدي الإسلام، أضف إلى ذلك ما زاده الأتباع عليها من السلوكيات المخالفة للشرع والعقل، اتخذوا بها دينهم لهواً ولعباً، ورحم الله المرابط محمد الأمين بن أحمد زيدان[٢٢] حيث يقول في مرشدة المهتدي:

---

(٢١) المصدر السابق ص ٢٠١ - ٢٠٢. وأترك التعليق على هذا الكلام لمن يعرف عقائد التجانية التي تضمنها كتاب جواهر المعاني وغيره.

(٢٢) هو محمد الأمين بن أحمد زيدان المحضري الجكني، عالم جليل له اليد الطولى في الفقه والأصول والمنطق، اشتهر بمعرفة القضاء في زمنه وكان ورعا جدا؛ أخذ عن أحمد بن محمد المشهور بمحمد رار التنواجيوي، والشيخ محمد العلوشي، وعنه أحمد بن مود ومحمد بن صالح الجكنيان، والمختار بن أحمد بن الهادي وغيرهم، من مؤلفاته: نصيحة الضعفاء وإرشاد الأغوياء، شرح مختصر خليل بن إسحاق، وله شرح على مراقي السعود. ولد سنة ١٢٢٩ للهجرة، وتوفى سنة ١٣٢٥هـ.

أعطيتهم جميع ما بيدكا ... فعوضوك منه سلب عقلكا

أعطيت ما تملكه للناس ... فعوضوك الفسخ للباس[٢٣]

أعطيت ما تملك من ثياب ... فصرت تنبح مع الكلاب

وجمعوا الرجال والنسوانا ... فخالفوا بذلك الرحمانا

وزعموا أبو الهم كزمزما ... فشربوها غبطة ومغنما

والشيخ فوق الخلفا قد جعلوه ... فربما على النبي فضلوه[٢٤]

وللشيخ علي القاري في كتابه شرح الفقه الأكبر للإمام أبي حنيفة كلمة موجزة في الموضوع، ختمها بقوله – في شأن المتصوفة –: ﴿فخلف من بعدهم خلف أضاعوا الصلاة واتبعوا الشهوات﴾[٢٥].

فلا غرابة – والحال كما سمعت أيها القارئ الكريم – إذا كثرت الردود على هذه التجاوزات الخطيرة.

(٢٣) فلسفة كشف العورات واعتقاد أن المعصية تكون طاعة لله إذا فعلها المتصوف فلسفة قديمة. يقول الشعراني في طبقاته، في معرض كرامات المتصوفة، ومناقبهم في زعمه مترضيا عنهم: ومنهم الشيخ إبراهيم العريان، كان يطلع على المنبر ويعظهم عريانا فيقول: السلطان ودمياط وباب اللوق، فيحصل للناس بسط عظيم. انظر الطبقات ج ٢ ص ٢٢٩ طبعة ابن شقرون.
ويقول الدباغ: إن غير الولي إذا انكشفت عورته نفرت منه الملائكة، وأما الولي – يعني بالولي المتصوف – فإنها لا تنفر منه إذا وقع له ذلك، لأنه إنما يفعله لغرض صحيح، فترك ستر عورته لما هو أولى منه. انظر الإبريز ج ٢ ص ٤٣ ط ١٢٩٢. وسوف تقف على كثير من أقوال وأفعال المتصوفة الذين يرون هذه الفلسفة والعياذ بالله.

(٢٤) قال في جواهر المعاني: إن غير النبي قد يكون عنده علم أزيد من النبي. ص ٢٣٢. وتفضيل الولي على النبي هو منهج ابن عربي، ودندن حوله أبو يزيد البسطامي □طيفور○حيث يقول: خضنا بحراً وقف الأنبياء بساحله. انظر الفكر الصوفي لعبد الرحمن عبدالخالق ص ٥٨. وقال الميرغني: ومن رآى من رآني إلى خمسة لم تمسه النار. انظر هذيان المجانين الذي سماه كاتبه: تاج التفسير لمحمد عثمان الميرغني ص ٤ وكذلك في كتاب: هذه هي الصوفية، لعبدالرحمن الوكيل.

(٢٥) سورة مريم ٥٨.

وكان من بين الذين ساهموا بجهد مشكور في الموضوع: الشيخ إبراهيم القطان، رحمه الله وشكر سعيه وثقل بما قام به من العمل ميزانه، يوم تجد كل نفس ما عملت من خير محضرا، حيث قام بتلخيص أهم عقائد الطائفة التجانية المخالفة لهدي الكتاب والسنة بإيجاز، ولم ينقل كلمة واحدة من غير كتبهم، مع التوثيق التام بذكر الكتاب ورقم الصفحة، ورد عليها رداً موجزاً لوضوح فسادها، فكان موفقا في هذا الجمع، سهل بها الوقوف على جل ما حوته كتب الطائفة التجانية من الأخطاء الكبيرة.

ولعظم فائدة هذا المختصر رأيت أن من العمل الذي يثيب الله عليه، إن شاء الله، السعي في تكثيره وتوزيعه على أكبر عدد ممكن من الناس، لعل بعض المنصفين من أتباع الطريقة المذكورة يقف عليه فينظر فيه متجرداً من الهوى والتقليد الأعمى جاعلاً نصب عينيه أن الحق هو ضالة المؤمن يأخذه أنى وجده، ومستشعراً الخوف من قول الحق سبحانه: ﴿أفلا يتدبرون القرآن أم على قلوب أقفالها﴾[٢٦]، وقوله: ﴿فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ثم لا يجدوا في أنفسهم حرجا مما قضيت ويسلموا تسليما﴾[٢٧] وحديث عدي بن حاتم الصحيح: أنه دخل على رسول الله ﷺ وهو يقرأ قول الله تعالى: ﴿اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أرباباً من دون الله﴾، قال عدي: قلت يا رسول الله، إنهم لم يعبدوهم، فقال النبي ﷺ: «بلى إنهم حرموا عليهم الحلال وأحلوا لهم الحرام فاتبعوهم فذلك عبادتهم إياهم»[٢٨].

---

(٢٦) سوة محمد ٢٥.

(٢٧) سورة النساء ٦٤.

(٢٨) جامع الترمذي رقم ٣٠٩ كتاب التفسير، وأخرجه أحمد في مسنده، وابن جرير في تفسيره، وغيرهم. انظر: تفسير ابن كثير ٢/٣٤٨.

ولعل غير أتباع الطريقة يقف على ما كان يجهله من عقائدها، فيحذرها، ويحذر منها ومن غيرها من الطرق الصوفية الأخرى، جاعلاً نصب عينيه هو أيضاً قوله سبحانه: ﴿كنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر﴾(٢٩). ولما كان هذا الملخص سيوقف الكثيرين على بعض الأخطاء الكبيرة التي كانوا يجهلونها من عقائد التجانية إن شاء الله، سمحت لنفسي بتسميته: إعلام المسلمين، ببعض مقالات التجانيين.

وإكمالاً للفائدة؛ فقد ذكرت – بقدر المستطاع –:

١– نماذج من أقوال بعض أعيان المتصوفة تبرهن على اشتراك كثير منهم في المنهج.

٢– نبذة من حياة مؤسسة الطريقة التجانية.

٣– ترجمت للمؤلف بإيجاز.

٤– كتبت ملحقاً صغيراً سردت فيه، مجموعة من خرافات التجانية لم يذكرها المؤلف بالتفصيل.

٥– وختمت المختصر بكلمة موجزة في الفرق بين أولياء الله وأولياء الشيطان، تزيل الالتباس عن كثير من الناس وهي من فتاوى شيخ الإسلام أحمد بن عبدالحليم، وعقود الإيمان لابن مود. ووضعت هوامش للمختصر جعلتها بعد ردود المؤلف ضممت بها صوتي إلى صوته. هذا وإني وأنا أكتب هذه الأسطر لأسأل الله عز وجل أن يثبتني بالقول الثابت في الحياة الدنيا وفي الآخرة، إنه هو ولي ذلك والقادر عليه.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

---

(٢٩) سورة آل عمران ١١٠.

-١-

نماذج من أقوال بعض أعيان المتصوفة:

سبق وأن ألمحت إلى أن التصوف الفلسفي بلغ الغاية في نهاية القرن الثالث الهجري، وأنه من ذلك الوقت وهو يواصل الانتشار في العالم الإسلامي...

وذكرت أن طوائف المتصوفة – أو أكثرهم – يشتركون في فلسفة معينة أوقعت الكثير من أعيانهم في مخالفات عقدية وشرعية، يصل بعضها الى حد الكفر الصريح، ومن لم يصرح منهم بذلك فهو راضٍ غالباً عمن صرح به، ويسميه العارف بالله، مع علمه بأقواله وأفعاله.

وأظهر هذه التجاوزات العقدية والشرعية ما يلي:

١– عقيدة الحلول والاتحاد.

٢– اعتقاد أن المعصية في حق الصوفي تنقلب طاعة لله بمجرد فعله لها.

٣– عقيدة الاستمداد.

٤– اعتقاد أن الصوفي يطلع على الغيب.

٥– اعتقاد بعض الصوفية إمكان التلقي عن الله أو عن رسوله ﷺ بعد وفاته مباشرة.

وسوف تقف على أقوال كثير من أعيان المتصوفة في هذه النقاط المذكورة تبرهن على اتفاقهم في المنهج وإن تفاوتوا في التعبير عنه.

النموذج الأول

عقيدة الحلول والاتحاد:

ويمكن تقسيم أصحابه إلى طوائف، بعضهم أشد غلواً من بعض، وأكثرهم غلواً فيه:

* – الحلولي المشهور، ابن عربي الحاتمي، المتوفي سنة: ٦٣٨ للهجرة، الذي يقول فيه – وللأسف – الشيخ ماء العينين بن محمد فاضل في كتابه: نعت البدايات وتوصيف النهايات، صفحة: ٩٨ ما نصه: الشيخ العارف الواصل الوارث الكامل، محيي الدين ابن عربي قدس سره وكرر ذلك في صفحة: ٩٩.

* – الحسين بن منصور الحلاج، المقتول سنة: ٣٠٩ للهجرة، لإعلانه عقيدة الحلول.

* – عبد الغني بن إسماعيل النابلسي، المتوفى سنة: ١١٤٣ للهجرة، صاحب كتاب الفتح الرباني.

* – ابن عامر البصري، المتوفي في أواخر القرن الثامن الهجري.

* – عبد الكريم بن إبراهيم الجيلي، المتوفى سنة: ٨٣٠ للهجرة [٣٠].

* – ابن الفارض عمر بن أبي الحسين، المتوفى سنة ٦٣٢ للهجرة.

* – التلمساني، سليمان بن علي (العفيف التلمساني)، المتوفى سنة: ٦٩٠ للهجرة.

---

(٣٠) ليس هو عبدالقادر الجيلاني البغدادي المتوفي سنة: ٥٦١هـ.

* – القونوي محمد بن إسحاق، المتوفى سنة: ٦٧٣ للهجرة.

* – أحمد بن محمد بن المختار التجاني، المتوفى سنة: ١٢٣٠ للهجرة، وأضرابهم.

وهناك طائفة أخرى أقل غلواً من السابقة، ومن أبرز أعلامها:

* – أبو حمزة الصوفي المتوفى سنة ٢٧٠هـ.

* – أبو الحسين النوري المتوفى سنة ٢٩٥هـ.

* – أبو بكر الشبلي المتوفى سنة ٣٣٤هـ.

* – أبو يزيد البسطامي المتوفى سنة ٢٦١هـ.

* – أبو حامد محمد بن محمد الطوسي، قبل توبته المتوفى سنة ٥٠٥هـ.

* – عبدالسلام بن مشيش المتوفى سنة ٦٢٢هـ.

وأضرابهم والطائفة الثالثة، قوم لم تصدر منهم عبارة تفيد اعتقادهم الحلول – فيما وقفت عليه – إلا أنهم راضون عن أهل الحلول والاتحاد، ويسمونهم العارفين، أو الأكابر، أمثال:

* – السراج الطوسي المتوفى سنة ٣٧٨هـ.

* – الكلاباذي، مؤلف كتاب: التعرف لأهل التصوف المتوفى سنة ٣٨٠هـ.

* – محمد بن علي الداودي المتوفى سنة ٩٤٥هـ.

* – عبدالباقي الزرقاني المتوفى سنة ١٠٩٩هـ.

* – يوسف بن إسماعيل النبهاني المتوفى ١٣٥٠هـ.

* – محمد المصطفى بن محمد فاضل المتوفى سنة ١٣٢٨هـ وأضرابهم.

وإليك أيها القارئ الكريم طرفاً من أقوال من ذكرت:

الطائفة الأولى:

– قال ابن عربي في تحريفه لآيات القرآن ﴿فما خطبك يا سامري﴾[٣١]، «يعني: فما صنعت من عدولك إلى صورة العجل على الاختصاص، أي: لماذا خصصت العجل فقط بكونه إلهاً»؟ والحال في هذه العقيدة أن كل شيء هو الله.

قال: وكان عتب موسى على هارون لما وقع من إنكاره وعدم اتساعه، فإن العارف من يرى الحق في كل شيء، بل يراه عين كل شيء[٣٢].

ويقول: إياك أن تتقيد بعقد مخصوص وتكفر بما سواه فيفوتك خير كثير، بل يفوتك العلم بالأمر على ما هو عليه، فكن في نفسك هيُولَى لصور المعتقدات كلها، فالكل مصيب، وكل مصيب مأجور[٣٣]. ومن نظمه:

عقد الخلائق في الإله عقائدا … وأنا اعتقدت جميع ما عقدوه[٣٤]

---

(٣١) سورة طه ٩٣.

(٣٢) الفصوص لابن عربي الحلولي ١٩٢.

(٣٣) الفصوص بشرح بالي ص ١٩١ وما بعدها.

(٣٤) شرح الفصوص لعبدالرحمن جامي.

* * * *

لقد كنت قبل اليوم أنكر صاحبي إذا لم يكن ديني إلى دينه دان
لقد صار قلبي قابلاً كل صورة فمرعى لغزلان ودير لرهبان
وبيت لأوثان وكعبة طائف وألواح توراة ومصحف قرآن(٣٥)

وقال: سبحان من أظهر الأشياء وهو عينها، إن العارف من يرى الحق في كل شيء بل يراه عين كل شيء(٣٦).

وقال بخصوص صور العالم: «هي ظاهر الحق إذ هو الظاهر، وهو باطنها إذا هو الباطن، وهو الأول إذ كان ولا هي، وهو الآخر إذ كان عينها عند ظهورها»(٣٧).

ويقول: هو من حيث الوجود عين الموجودات، فالمسمى محدثات هي العلية لذاتها، وليست إلا هو(٣٨).

ويقول في حق الله سبحانه: فيحمدني وأحمده، ويعبدني وأعبده(٣٩).

ويقول: فهو عين ما ظهر وهو عين ما بطن في حال ظهوره وما ثم من يراه غيره...(٤٠).

---

(٣٥) ذخائر الأعلاق لابن عربي ص ٣٩.
(٣٦) الفتوحات ج٢ ص ٦٠٤، والفصوص ٣٧٤ شرح بالتالي ص ٣٨٢ بشرح القاشاني.
(٣٧) الفصوص، ط الحلبي ١١٢.
(٣٨) المصدر السابق ج ١ ص ٢١٧ و ص ٤٣٧ ط استنبول، شرح قاشاني: ٤٢٠ ج ١ بالي ١٣٠٩.
(٣٩) المصدر السابق ص ٨٣. تحقيق عفيفي.
(٤٠) راجع الصفحات التالية من فصوص الحكم لابن عربي تقف على كثير من الباطل في هذا الموضوع: ٧١ - ٧٢ - ٧٣ - ٧٦ - ٧٧ - ٧٩ - ٨٠ - ٨١ - ٨٢ - - ٨٤ - ٨٩ - ٩٠ - ٩٤ - ١١١ - ١١٢ - ١٨١ - ١٩١ - ١٩٢ - ١٩٤ - ١٩٥ - ١٩٦ - ٢٠١ - ٢١١ - ٢١٢ - ٢١٦ - ٢١٧ - ٢١٨ - ٣٠٩ - ٣٧٤ - ٤٢٠، وشرح القاشاني ص ٣٨٢ - - ٤٣٧ ط اسطتنبول، والفتوحات المكية ج ٢ ص ٦٠٤. وذخائر الأعلاق لابن عربي ص ٣٩.

وقد جر هذا الحلولي اعتقاد الاتحاد إلى تحريف آيات كثيرة من القرآن، فزعم أن قوم هود الكفارين كانوا على الصراط المستقيم، وأن فرعون كان مؤمناً كامل الإيمان، وأن قوم نوح كانوا مؤمنين، فجزاهم الله بأن أغرقهم في بحار الوحدة، وأدخلهم نار الحب الإلهي ليتنعموا فيها، وأن هارون أخطأ لأنه نهى بني إسرائيل عن عبادة العجل، وما كان العجل إلا المعبود الحق، وأن قوم نوح أصابوا في عدم تركهم وداً وسواعاً ويغوث ويعوق ونسرا، لأنها مظاهر للإله الواحد، وأن النار عذوبة لا عذاب، وأنه ما من إنسان إلا مرحوم مرضي عنه، وأن الله لا يعلم شيئاً قبل وجوده، لأن وجود الشيء هو وجود العلم، بل وجود كل شيء هو ترجمة لوجود الله(٤١)، تعالى الله عما يقول الظالمون علواً كبيراً.

وأسألكم بالله: أمثل هذا يقال له العارف بالله؟.

- ويقول الحسين بن منصور الحلاج... وأنا الحق لأني مازلت بالحق حقاً فصاحبي وأستاذي إبليس وفرعون؛ فإبليس هدد بالنار وما رجع عن دعواه، وفرعون أغرق في اليم وما رجع عن دعواه ولم يقر بالواسطة، وإن قتلت أو صلبت ما رجعت عن دعواي(٤٢).

وقال: قال إبليس: أنا خير منه حين لم ير غيره خيراً... وما صحت الدعوى إلا لإبليس وأحمد... وما كان في السماء موحد مثل إبليس، حيث إبليس تغير عليه العين وهجر الألحاظ في السير، وعبدالمعبود على التجريد، ولعن حين وصل إلى التفريد، وطلب حين طلب المزيد...

(٤١) الطواسين للحلاج ص ٥٢.
(٤٢) الفصوص ص ٧٦ - ٧٧.

إلى أن يقول: .. التقى موسى وإبليس على عقبة الطور، فقال له: يا إبليس، ما منعك عن السجود؟ قال: منعني الدعوة بمعبود واحد، ولو سجدت له لكنت مثلك، فإنك نوديت مرة واحدة، انظر إلى الجبل فنظرت، ونوديتُ أنا ألف مرة أن اسجد فما سجدت لدعواي بمعناي.

ومن نظم له:

أنا من أهوى ومن أهوى أنا نحن روحان حللنا بدنا
فإذا أبصرتني أبصرته وإذا أبصرته أبرصتنا

* * * *

سبحان من أظهر ناسوته سر سنا لاهوته الثاقب
ثم بدا في خلقه ظاهرا في صورة الآكل والشارب
حتى لقد عاينه خلقه كلحظة الحاجب بالحاجب

* * * *

مزجت روحك في روحي كما تمزج الخمرة بالماء الزلال
فإذا مسك شيء مسني فإذا أنت أنا في كل حال(٤٣)

وهذا مثل قوله عن نفسه: ما في الجبة إلا الله(٤٤).

قال في البداية والنهاية: أمر الحلاج ابنة زوجة ابنه بالسجود له، فقالت: أيسجد بشر لبشر؟ فقال: نعم، إله في السماء وإله في الأرض(٤٥).

(٤٣) الطواسين للحلاج ص ٣٤ - ١٣٠ - ١٣٢، والبداية والنهاية لابن كثير ج ١١ ص ١٧٨.
(٤٤) مشكاة الأنوار للغزالي ص ١٢٢ ط ١٩٣٤.
(٤٥) البداية والنهاية ج ١١ ص ١٨٧.

وكان يكتب إلى أصحابه، من الرحمن الرحيم: إلى فلان بن فلان.

ولما أمسكوه قالوا له: كنت تدعي النبوة، فصرت تدعي الألوهية والربوبية، فقال لا، ولكن هذا عين الجمع عندنا، هل الكاتب إلا الله، وأنا واليد آلة[٤٦].

- ويقول النابلسي... «ما ثم إلا ذات وصفات، وصفات صفات وهي الأفعال، ومنفعلات وهي العالم.

فالأول هو المعبود، والثاني الموصول إليه وهو الوساطة، والثالث هو العابد، والرابع هو العائق والمانع.

والأول مرتبة الله تعالى، والثاني مرتبة محمد ﷺ، والثالث مرتبة المؤمنين، والرابع مرتبة الشيطان.

وهذه الأربعة في الحقيقة شيء واحد، لكنه تنزل وتفصل، فظهرت له هذه الأطوار، وتعددت وجوداته...».

ومن كلامه: وأما الذنب بحسب باطن الأمر الإلهي المسمى الحقيقة، فهو الموافقة للرب سبحانه وتعالى في شيء مما أراد بنفسه من نفسه بعد وصول التبليغ عن نفسه بنفسه إلى نفسه، ويرجع ذلك إلى تعيين وجود العبد[٤٧]. ويفسر قوله تعالى: ﴿وألقيت عليك محبة مني ولتصنع على عيني﴾[٤٨]، أي: ذاتي، فأظهر بك وتغيب أنت، وتظهر أنت وأغيب أنا، وما هما اثنان، بل عين واحدة.

(٤٦) المصدر السابق ج ١١ ص ١٨٥ - ١٨٧.
(٤٧) الفتح الرباني للنابلسي ص ٥١.
(٤٨) سورة طه ٣٨.

ويقول: أخبر الله أن نبيه... هو الله بقوله: ﴿يد الله فوق أيديهم﴾[49].

- ولابن عامر البصري في تائيته:

تجلى المحبوب من كل وجهة — فشاهدته في كل معنى وصورة
وخاطبني مني بكشف سرائري — تعالت عن الأغيار لطفاً وجلت[50]
فقال: أتدري من أنا؟ قلت أنت يا — منادي أنا، إذ كنت أنت حقيقتي
نظرت فلم أبصر سوى محض وحدة — بغير شريك قد تغطت بكثرة
تكثرت الأشياء والكل واحد — صفات وذات ضمنا في هويتي
فأنت أنا، لا بل أنا أنت وحدة — منزهة عن كل غير وشركة[51]

- ويقول الجيلي:

لي الملك في الدارين لم أر فيهما — سواي فأرجو فضله أو فأخشاه
وقد حزت أنواع الكمال وإنني — جمال جلال الكل ما أنا إلا هو

إلى أن يقول:

ومهما ترى من شهوة بشرية — لطبع وإيثار لحق تعطاه

---

(٤٩) سورة الفتح ١٠، وانظر حكم شطح الولي للنابلسي، مخطوطة بالظاهرية، بواسطة كتاب: هذه هي الصوفية لعبد الرحمن الوكيل ٥٩.

(٥٠) الأغيار: معناه عند أهل السنة، تعالى الله عن الشريك، أما قول الحلولي: تعالى الله عن الأغيار، فمعناه: ما ثم غير له، إذ هو عين كل شيء. انظر: هذه هي الصوفية ص ٥٧ مصدر سابق.

(٥١) تائية ابن عامر، تحقيق الشيخ المغربي ط دمشق ١٩٤٨.

ومهما ترى من عرشه ومحيطه وكرسيه أو رفرف عز مجلاه
فإني ذاك الكل والكل مشهدي جميع الورى اسم وذاتي مسماه [٥٢]

ويقول في كلام فاسد طويل...: ويظهر الحق فيها بصورة الخلق، ويظهر الخلق بصورة الحق. الألوهية في نفسها تقتضي شمول النقيضين وجمع الضدين[٥٣].

- وللقونوي: «فالإنسان هو الحق وهو الذات»، وهو الصفات، وهو الجن، وهو السماوات وكواكبها، والأرضون وما فيها، وهو العالم الدنياوي، وهو العالم الأخراوي وهو الوجود وما حواه، وهو الحق، وهو القديم، وهو الحادث[٥٤].

- وهذا العفيف التلمساني يمر في الطريق على كلب أجرب ميت، فيسأله رفيق له، وكان التلمساني يحدثه عن وحدة الوجود: أهذا أيضاً هو ذات الله! مشيراً إلى جثة الكلب؟ فقال التلمساني: نعم، الجميع ذاته، فما من شيء خارج عنها[٥٥].

- ومن تائية ابن الفارض عن نفسه:

فقد رفعت تاء المخاطب بيننا وفي رفعها عن فرقة الفرق رفعتي
ولا فلك إلا ومن نور باطني به ملك يهدى الهدى بمشيئتي

---

(٥٢) الإنسان الكامل للجيلي ج ١ ص ٢٢ وما بعدها ط ١٢٩٣.
(٥٣) المصدر السابق ص ٢٧.
(٥٤) الإنسان الكامل ص ١١٥، وانظر هذه هي الصوفية ص ٥٨ مصدر سابق.
(٥٥) مجموعة الرسائل الكبرى لابن تيميه ص ١٤٥.

ولا قطر إلا حل من فيض ظاهري | به قطرة عنها السحائب سحت
ولولاي لم يوجد وجود ولم يكن | شهود ولم تعهد عهود بذمة
فلا حي إلا من حياتي حياته | وطوع مرادي كل نفسي مريدتي

إلى أن يقول:

كلانا مصل واحد ساجد إلى | حقيقته بالجمع في كل سجدة
وما كان لي صلى سواي ولم تكن | صلاتي لغيري في أدا كل سجدة(٥٦)

إلى آخر كلامه الذي يقرر به وحدة الوجود، عامله الله بما يستحق.

- ومن كتاب جواهر المعاني لعلي بن حرازم ناسبا لأحمد بن محمد المختار التجاني: «فما في ذوات الوجود كله إلا الله سبحانه تجلى بصورها وأسمائها، وما ثم إلا أسماؤه وصفاته، فظاهر الوجود وصور الموجودات وأسماؤها ظاهرة بصورة الغير...».

إلى أن يقول: فكل عابد أو ساجد لغير الله في الظاهر، فما عبد ولا سجد إلا لله، لأنه هو المتجلي في تلك الألباس(٥٧).

- ويتحدث صاحب ميدان الإفضال في شرح كلام التجاني قائلا: والقائلون بوحدة الوجود أولوا الذوق الصحيح والكشف الصريح، وأهل هذا التصديق الجامع، فإنهم قائلون بأن الله تعالى هو الوجود المطلق بالإطلاق الحقيقي(٥٨).

---

(٥٦) كشف الوجوه الغر على هامش شرح الديوان ج ٢ ص ٨٩ ط ١٣١٠.
(٥٧) جواهر المعاني لعلي بن حرازم ج ١ ص ١٨٤ - ١٨٥ - ٢٥٩.
(٥٨) ميدان الفضل والإفضال ص ٦٢ - ٦٦ - ط تونس ١٣٢٩ وانظر التجانية لعلي بن محمد ص ٦٦.

تعالى الله عما يقولون علواً كبيرا.

الطائفة الثانية:

نبدؤها بأبي يزيد، الذي من كلامه: ... وزيني بوحدانيتك، وألبسني أنانيتك، وارفعني إلى احديتك، حتى إذا رآني خلقك قالوا: رأيناك، فتكون أنت ذاك، ولا أكون أنا هنا[٥٩].

ويقول: خرجت من الله إلى الله، حتى صاح مني: يا من أنا أنت، وإليه، سبحاني ما أعظم شأني[٦٠].

- ومن مشكاة الأنوار: ... فسكروا سكراً وقع دونه سلطان عقولهم، فقال بعضهم: يعني البسطامي، أنا الحق[٦١].

- ويدندن أبو حامد محمد بن محمد بوحدة الوجود قائلا: ...

والرابع موحد، بمعنى أنه لم يحضر في شهوده غير الواحد، فلا يرى الكل من حيث إنه كثير، بل من حيث إنه واحد، وهذه الغاية القصوى في التوحيد.

إلى أن يقول: بل كما لا إله إلا هو، فلا هو إلا هو، فإن هو: عبارة عما إليه الإشارة وكيف ما كان فلا إشارة إليه.

---

(٥٩) اللمع للطوسي ص ٤٦١.

(٦٠) تذكرة الأولياء ج ١ ص ١٦٠ بواسطة نقل عبدالرحمن الوكيل في كتاب: هذه هي الصوفية.

(٦١) مشكاة الأنوار مصدر سابق ص ١٢٢ ط ١٩٣٤.

ثم يقول: وإليه الإشارة بقوله ﷺ: «صرت سمعه...» الحديث «فهو السامع والباصر والناطق إذن لا غيره»[٦٢].

- وسمع أبو الحسين النوري كلباً يعوي، فقال: لبيك وسعديك.

- وسمع أبو حمزة الصوفي شاة ثغت، فقال: لبيك يا سيدي.

- وهذا أبو بكر الشبلي يقول لزواره عند خروجهم من عنده: «أنا معكم حيثما كنتم في رعايتي وكلاءتي».

وله في موضع آخر قوله: لو أن أحدا يفهم ما أقول لشددت الزنانير[٦٣].

- ولابن مشيش... وزج بي في بحار الأحدية، وأنشلني من أوحال التوحيد، وأغرقني في عين بحر الوحدة[٦٤].

الطائفة الثالثة:

أهلها كثيرون، ونذكر منهم على سبيل المثال:

* محمد الكلاباذي، صاحب كتاب التعرف على مذاهب أهل التصوف، المتوفى سنة ٣٨٠هـ.

* أبو نصر السراج الطوسي صاحب كتاب اللمع، المتوفي سنة ٣٧٨هـ.

فقد استشهد كل منهما بكلام الحلاج واصفا إياه بأحد الكبراء.

(٦٢) المصدر السابق ص ١٢٥

(٦٣) اللمع مصدر سابق ص ٤٧٨ - ٤٩٢ - ٤٩٥.

(٦٤) هذه هي الصوفية مصدر سابق ص ٦٠ - ٦١.

* ولعبد الباقي بن يوسف الزرقاني المتوفى سنة ١٠٩٩هـ في شرحه على مختصر خليل[٦٥] قوله: ... «ونقل أن الشيخ الأكبر ابن عربي أجاب بذلك هائشة طلعت له من البحر سألته عن ذلك بعد سكوته».

* ولماء العينين محمد المصطفى بن محمد فاضل المتوفى سنة ١٣٢٨هـ قوله، قال: الشيخ العارف الواصل الوارث الكامل محيي الدين بن عربي قدس سره[٦٦].

* وليوسف النبهاني البيروتي قوله: فالاجتهاد لا يدعيه اليوم إلا مختل العقل والدين إلا من طريق الولاية، كما قاله الشيخ الأكبر محيي الدين ابن عربي.

قال في غاية الأماني: والمقصود أن قول النبهاني وما وافقه من أقوال الذين ذكرناهم كلها من واد واحد وأنها متفرعة على القول بالحلول والاتحاد غير أن كلامهم ليس صريحاً في ذلك، ولكن الأمر كما قيل: رب كناية أبلغ من تصريح[٦٧].

---

(٦٥) شرح الزرقاني على مختصر سيدي خليل ج ٢ ص ٩٢.

(٦٦) نعت البدايات وتوصيف النهايات مصدر سابق ص ٩٨.

(٦٧) غاية الأماني للألوسي ١/ ٥٢، ٥٩.

النموذج الثاني

اعتقاد بعض المتصوفة أن المعصية تنقلب طاعة لله إذا فعلها الصوفي :

فلسفة اعتقاد أن المعصية تنقلب عبادة في حق الصوفي إن فعلها إهانة لنفسه أو أنها من قضاء الله وقدره أو أن الأشياء كلها عين واحدة لا فرق بين الأجنبية والزوجة كما هي عقيدة أهل الاتحاد، فلسفة قديمة لكنها استفحلت في العصور المتأخرة نتيجة لقلة العلم وكثرة الجهل وسوف أسوق لك أيها القارئ الكريم نصوصاً من كتب بعض الطوائف المتصوفة تلقي الضوء على هذا المنحى العقدي الخطير.

قال أبو حامد الغزالي في كتاب الإحياء(٦٨) مرتضياً له: إن أبا يزيد البسطامي سأله أحد جلسائه الملتزمين بالشرع عن علاج لقلبه يحصل به على ما يقول الصوفية أنهم يجدونه، فقال له: اذهب الساعة إلى المزين فاحلق رأسك ولحيتك وانزع هذا اللباس واتزر بعباءة وعلق في عنقك مخلاة مملوءة جوزاً، واجمع الصبيان حولك وقل: من صفعني أعطيته جوزة وطف بالسوق وأنت على تلك الحالة(٦٩).

وقال الكريبي وهو من أعيان الصوفية: نزلت في محلة فعرفت فيها بالصلاح فتشتت علي قلبي فدخلت الحمام وعدلت إلى ثياب فاخرة

---

(٦٨) هو كتاب إحياء علوم الدين، وللعلامة الطرطوشي فيه: هو اقرب لإماته الدين، وذلك لما جاء فيه من التصوف الفلسفي؛ فقد قال الطرطوشي في الرسالة التي أرسلها إلى عبيد الله بن المغفر في شأن الغزالي وكتابه الإحياء: إن الغزالي في كتابه الإحياء دخل في علوم الخواطر ومرامز الصوفية ثم شاب ذلك بآراء الفلاسفة، وأن هذا الكتاب إذا ترك انتشر بين ظهور الخلق ومن لا معرفة لهم بسمومه القاتلة وخيف عليهم أن يعتقدوا صحة ما سطر فيه مما هو ضلال، فحرق قياساً على ما احرقته الصحابة رضي الله عنهم من صحائف المصحف التي تخالف المصحف العثماني سير أعلام النبلاء ج ١٩ ص ٤٩٤ - ٤٩٦.

(٦٩) إحياء علوم الدين لأبي حامد الغزالي ج ٤ ص ٣٥٨، دار المعرفة.

فسرقتها ولبستها ثم لبست مرقعتي فوقها وخرجت فجعلت أمشي قليلاً فلحقوني فنزعوا مرقعتي وأخذوا الثياب وصفعوني وأوجعوني ضرباً فصرت بعد ذلك أعرف بلص الحمام فسكنت نفسي(٧٠).

وللدباع: الولي يسمع كلام الباطن كما يسمع الظاهر ولهذا قد يعصي الولي الصوفي في نظر الشريعة فيكون مطيعاً في نظر الحقيقة(٧١).

وله أيضاً، والصوفي صاحب التصرف يمد يده إلى جيب من شاء فيأخذ منه ما شاء من الدراهم وذو الجيب لا يشعر(٧٢).

وله: إن غير الولي إذا انكشفت عورته نفرت منه الملائكة، وأما الولي فإنها لا تنفر منه إذا وقع له ذلك لأنه إنما يفعله لغرض صحيح فيترك ستر عورته لما هو أولى منه(٧٣).

وللشعراني في كرامات الصوفية – في زعمه –: وكان أبو خودة رضي الله عنه إذا رأى امرأة أو أمرداً راوده عن نفسه وحسس على مقعدته، سواء كان ابن أمير أو وزير ولو كان بحضرة والده أو غيره ولا يلتفت إلى الناس وكان لا يصلي في الجماعة(٧٤). ويقص في طبقاته كرامات سيده علي وحيش معقباً على ذكر كل كرامة بقوله رضي الله عنه، وكان الشيخ رضي الله عنه يقيم في خان بنات الخطا وكان كل من خرج – أي بعد ارتكاب الفاحشة – يقول له: قف حتى أشفع فيك قبل أن تخرج، فيشفع فيه، وكان

(٧٠) المرجع السابق.
(٧١) الإبريز ج ٢ ص ٤٢.
(٧٢) المرجع السابق ص ٤٣.
(٧٣) نفسه ص ٢٢٩ ط ابن شقرون.
(٧٤) طبقات الصوفية للشعراني ج ٢ ص ١٣٥. طبعة دار الجيل.

إذا رأى شيخ بلد أو غيره ينزله من على الحمارة ويقول له: أمسك لي رأسها حتى أفعل فيها فإن أبى شيخ البلد تسمر في الأرض لا يستطيع يمشي خطوة، وإن سمح حصل له خجل عظيم والناس يمرون عليه(٧٥).

ويقول: ومنهم الشيخ إبراهيم العريان رضي الله عنه كان يطلع المنبر ويخطبهم عرياناً فيقول: السلطان ودمياط وباب اللوق، فيحصل للناس بسط عظيم(٧٦).

ولصاحب الإبريز عن الدباغ: إن الولي الكبير فيما يظهر للناس يعصي وهو ليس بعاص وإنما روحه حجبت ذاته فظهرت في صورتها فإذا أخذت في المعصية فليست بمعصية، ويتصور في طور الولاية أن يقعد الولي مع قوم يشربون الخمر وهو يشرب معهم فيظنون أنه شارب الخمر وإنما تصورت روحه في صورة من الصور وأظهرت ما أظهرت(٧٧).

ويذكر الشعراني عن العريان أيضاً معتبراً ذلك من مناقبه الحسنة: إنه كان يخرج الريح بحضرة الأكابر ثم يقول: هذه من فلان ويحلف على ذلك فيخجل الكبير منه(٧٨).

وللدباغ: إن للشيخ الكامل – في زعمه – أن يفعل ما يشاء من المعاصي ولا حرج عليه ولا يجوز أن يظن المريد خلاف الخير، لأن الخمر التي يراها المريد خمراً تنقلب عينها في الشيخ فتكون له لبناً أو عسلاً أو أن الشيخ يشكل نفسه على النحو الذي يظهر منه الفسق والخروج على الشريعة

---

(٧٥) نفسه ص ١٤٩ ط دار الجيل.

(٧٦) نفسه ص ١٩٢ ط ابن شقرون.

(٧٧) الإبريز ج ٢ ص ٤١ – ٤٣.

(٧٨) الطبقات مصدر سابق.

ليؤدب المريدين ويعلمهم أن يثقوا بشيخهم ولو رأوه يفعل منكراً [٧٩].

وللشيخ ماء العينين في شأن الشيخ المتصوف: ولا يزنه بميزانه إذ قد تصدر من الشيخ صورة مذمومة في الظاهر وهي محمودة في الحقيقة والباطن فيجب على المريد أن يكون بين يدي الشيخ كالميت بين يدين غاسله فلا يخطر على خاطره اعتراض ولو عاينه قد خالف ظاهر الشرع عنده، وليحذر من الاعتراض عليه بباطنه وليبادر امتثال أمر شيخه ولو تيقن خطأه [٨٠].

وللقشيري: ومن شروطه - يعني المريد - ألا يكون بقلبه اعتراض على شيخه [٨١].

وللحلولي ابن عربي: ومن شروط المريد أن يعتقد في شيخه أنه على شريعة من ربه ونبيه ولا يزن أحواله بميزانه وأنه قد تصدر من الشيخ صورة مذمومة في الظاهر وهي محمودة في الباطن والحقيقة يجب التسليم، وكم من رجل كأس خمر بيده ورفعه إلى فيه وقلبه الله في فيه عسلاً، والناظر يراه شرب خمراً وهو ما شرب إلا عسلاً [٨٢].

ونقل عبدالرحمن عبدالخالق عن شيخه محمد عبدالوهاب البنا أنه رأى والده وكان من كبار العلماء في الأزهر يشتري قارورة الخمر لشيخه في الطريقة، ولما كلمه في ذلك قال: يا بني إنها تنقلب في بطن الشيخ فتكون لبنا [٨٣].

---

(٧٩) الإبريز ص ١٨٦ - ١٨٨.
(٨٠) نعت البدايات للشيخ ماء العينين ص ٦ - ٨.
(٨١) القشيرية ص ١٩٢.
(٨٢) الإبريز ص ٢٠٢.
(٨٣) الفكر الصوفي في ضوء الكتاب والسنة ص ٥٠١.

ومن هذيان صاحب الإبريز: أن شخصاً سمع بشيخ فحمل جميع ماله إليه فلما وصل إليه ودخل وجده يمارس الفاحشة، ومن المدمنين على شرب الخمر فرزقه الله الغفلة عن ذلك وقال للشيخ: أنا جئتك من بلاد بعيدة لتدلني على الله عز وجل وهذا مالي أتيتك به، فقال الشيخ: تقبل الله منك، وأمر الجارية فأعطته رغيفاً وفأساً وأمره بالخدمة في بستان الشيخ، فكان هذا المريد وارث القطب(٨٤).

ولا تعجل واستمع لشقيقتها أيها القارئ الكريم، أراد شيخ أن يختبر صدق مريديه فأظهر لهم صورة امرأة بغي فدخلت الخلوة فقام الشيخ فدخل معها فقاموا كلهم إلا واحداً جلس على الباب يسخن للشيخ الماء ليغتسل من الجنابة - بعد اقتراف الفاحشة - فخرج إليه الشيخ وقال له ماذا تفعل فقال: أسخن لك الماء فقال: أتتبعني بعد ما رأيت؟ فقال نعم، فقال له الشيخ: يا ولدي تلك الدنيا تصورت بصورة امرأة وأنا فعلت ذلك عمداً لينقطع عني أولئك القوم(٨٥).

هذا ما سمح به الوقت وتركت الكثير من الهذيان من نوع آخر، ومن أبشعه مايلي:

١- قال الشعراني عن نفسه: إن شيخي أخذ علي العهد في القبة اتجاه وجه سيدي أحمد البدوي وسلمني إليه بيده فخرجت اليد الشريفة من القبر وقبضت على يدي، قال سيدي الشناوي: يكون خاطرك عليه واجعله

---

(٨٤) القطب أو الغوث خرافة صوفية لا أصل لها على المعنى الذي يعتقده الصوفية، قال شيخ الإسلام ابن تيمية: ثلاثة أشياء ما لها من أصل، باب النصيرية، ومنتظر الرافضة، وغوث الجهال وسيأتي الكلام في القطب على المعنى الصحيح وموقف المحدثين من الأحاديث الواردة في الموضوع بإيجاز.

(٨٥) الإبريز مصدر سابق.

تحت نظرك فسمعت سيدي أحمد يقول من القبر: نعم، ولما دخلت بزوجتي وهي بكر مكثت خمسة أشهر لم أقرب منها، فجاء فأخذني وهي معي وفرش فرشاً فوق ركن قبته وطبخ لي حلوى ودعا الأحياء والأموات إليه وقال: أزل بكارتها هنا فكان الأمر تلك الليلة، وتخلفت عن حضور المولد وكان هناك بعض الأولياء فأخبرني أن سيدي أحمد البدوي كان ذلك اليوم يكشف الستر عن الضريح ويقول: أبطأ عبدالوهاب(٨٦).

والحقيقة أن الشعراني يعتبر السحر من الكرامات ولذا يقول عن الشيخ أبي علي مادحاً: تدخل عليه مرة فتجده جندياً وتدخل عليه مرة فتجده سبعاً وتدخل عليه مرة فتجده فيلاً(٨٧).

٢- إن الذي يضر في الدنيا والآخرة خلو الذهن ساعة واحدة من الشيخ، أما عدم الخوف من عاقبة المعصية فلا يضر(٨٨).

٣- وقولهم إن قبور الأكابر عندها ملائكة يقضون حوائج الزائرين(٨٩).

---

(٨٦) طبقات الشعراني ج ١ ص ١٨٦ ترجمة احمد البدوي ط دار الجيل.

(٨٧) المصدر السابق ص ٨٠ - ٨١.

(٨٨) الإبريز ص....

(٨٩) نعت البدايات لماء العينين ص ١١١ وهذا القول بعد البحث والسؤال لم أقف له على أصل ولعل الشيخ انخدع بالحديث الموضوع: «إذا أعيتكم الأمور فعليكم بأهل القبور» أو فاستغيثوا بأهل القبور، قال ابن تيمية رحمه الله: فهذا الحديث كذب مفترى على النبي ﷺ بإجماع العارفين بحديثه لم يروه أحد من العلماء بذلك، ولا يوجد في شيء من كتب الحديث المعتمدة، قال: وما يرويه بعض الناس أنه قال: «إذا تحيرتم في الأمور فاستعينوا بأهل القبور» أو نحو هذا، فهو كلام موضوع مكذوب باتفاق العلماء، والذي يبين ذلك أمور:

- أنه قد تبين أن العلة التي نهى النبي ﷺ لأجلها عن الصلاة عندها إنما هي لئلا يكون ذريعة إلى نوع من الشرك بالعكوف عليها وتعلق القلوب بها رغبة ورهبة، ومن المعلوم أن المضطر في الدعاء الذي قد نزلت به نازلة فيدعو لاستجلاب خير كالاستسقاء، أو لرفع شر كالاستنصار، حاله في افتتانه بالقبور إذا رأى الإجابة عندها أعظم من حال من يؤدي الفرض عندها في حال العافية، فإن أكثر المصلين في حال العافية لا تكاد قلوبهم تفتتن بذلك=

المسلك الثاني

ويقول النابلسي: فالمذنب في حال ذنبه أقرب إلى الله منه في حال طاعته، وأن المعصية إذا فعلها الإنسان معتقداً أنها صادرة من الله تكون عبادة، فالزنديق من يرى أن كفره وفسقه صادر منه فقط وأنه مستقل بهذا الكفر، وأما الصديق فهو من يرى أن كل أفعال العباد صادرة من الله... فربما يظهر الصديق في حلية الزنديق، وربما يظهر الزنديق في حلية الصديق، وموقع النظر واحد وهو الخلق، فمن نظر إلى الخلق وقال إنهم كلهم على الصواب، فإما أن ينظر إليهم من حيث صدورهم عن الصانع القديم ويقول ذلك فهو الصديق، وإما أن ينظر إليهم من حيث ذواتهم ويقول ذلك فهو الزنديق(٩٠).

يقول مؤلف الفكر الصوفي على ضوء الكتاب والسنة: فالأفعال عنده لا تتفاضل ولا تتناقض إلا بالنظر إلى الخلق وأما بالنظر إلى الله الفاعل فإنما هي

= إلا قليلا، أما الداعون المضطرون ففتنتهم بذلك عظيمة جداً فإذا كانت المفسدة والفتنة التي لأجلها نهى عن الصلاة عندها متحققة في هؤلاء كان نهيهم عن ذلك أوكد وآكد، وهذا واضح لمن فقه في دين الله وتبين له ما جاءت به الحنيفية من دين الله، وعلم كمال سنة إمام المتقين في تجريد التوحيد ونفي الشرك بكل الطرق.

- إن قصد القبور للدعاء عندها ورجاء الإجابة بالدعاء هنالك رجاء أكثر من رجائها بالدعاء في غير ذلك الموطن أمر لم يشرعه الله ولا رسوله، ولا فعله أحد من الصحابة ولا التابعين، ولا أئمة المسلمين، ولا ذكره أحد من العلماء ولا الصالحين المتقدمين، بل أكثر ما ينقل من ذلك عن بعض المتأخرين بعد المائة الثانية، وأصحاب رسول الله ﷺ قد أجدبوا مرات ودهمتهم نوائب غير ذلك، فهلا جاءوا فاستسقوا واستغاثوا عند قبر النبي ﷺ بل خرج عمر بالعباس فاستسقى به ولم يستسق عند قبر النبي ﷺ مجموع الفتاوى ٢٩٣/١١، واقتضاء الصراط المستقيم ٦٧٧/٢ - ٦٧٩، ولابن القيم في إغاثة اللهفان ٢٤٣/١ في ذكر الأمور التي أوقعت عباد القبور في الفتتان بها: ومنها أحاديث مكذوبة مختلقة وضعها أشباه عباد الأصنام من المقابرية على رسول الله ﷺ تناقض دينه وما جاء به، كحديث: «إذا أعيتكم الأمور فعليكم بأصحاب القبور» وحديث «لو أحسن أحدكم ظنه بحجر نفعه»، وأمثال هذه الأحاديث التي هي مناقضة لدين الإسلام وضعها المشركون وراجت على أشباههم من الجهال والضلال.

(٩٠) الفتح الرباني.

شيء واحد، وبهذه العقيدة أبطلوا جميع أحكام الشرع واستحلوا كل المحرمات[٩١].

المسلك الثالث:

وقال ابن تيمية وهو معاصر للعفيف التلمساني: هو أخبث أهل الحلول يرى أن الأعيان كلها شيء واحد وأنه لا فرق بين البنت والأخت والأجنبية، وقال إنه يقول: ليس في ذلك شيء حرام علينا، وإنما هؤلاء المحجوبون قالوا حرام فقلنا حرام[٩٢].

وذكر السندي في كتاب التصوف أن الحسين بن علي بن هود تلميذ التلمساني لا يفرق بين الأم والأخت وبين الأجنبيات[٩٣].

وللعز بن عبدالسلام وغيره في ابن عربي: هو رجل سوء يقول بقدم العالم ولا يحرم فرجا[٩٤].

ولابن أبي شامة المقدسي في علي بن محمد الحريري قوله:: وكان عند هذا الحريري من الاستهزاء بأمور الشريعة والتهاون بها من إظهار شعار أهل الفسوق والعصيان شيء كثير، من ذلك الغناء الدائم والرقص والمردان وترك الصلاة، وكان يقول لمريديه من دخل الروم فتنصر وأكل لحم الخنزير وشرب الخمر كان في شغلي.

وقد أفتى بقتله جماعة من المسلمين ثم أراح الله منه[٩٥].

(٩١) الفكر الصوفي في ضوء الكتاب والسنة ص ١٦٩.
(٩٢) مجموعة الرسائل والمسائل لابن تيمية ج ١ ص ١٨٤ - ١٨٥.
(٩٣) التصوف للسندي ص ١٩٨.
(٩٤) تنبيه الغبي إلى تكفير ابن عربي لبرهان الدين البقاعي المتوفى سنة ٨٨٥ هـ، وسير أعلام النبلاء ج ١٦ ص ٣٤٨ وطبقات المفسرين للسيوطي.
(٩٥) التصوف في ميزان البحث والتحقيق للسندي ص ٢١٤.

وقد سبق قبل قليل قول العز بن عبدالسلام في ابن عربي أنه لا يحرم فرجاً، واقرأ – إن أردت المزيد – كتاب حقيقة الاتحاديين لابن تيمية، وكتاب الوحدة لعلي القاري وغيرها من الكتب التي كتبت في الموضوع، فسوف يتضح لك بجلاء فلسفة هذه الطائفة التي أدت بها إلى الانحراف الكبير.

موقف أهل السنة والجماعة ممن اعتقد أنه يسعه الخروج عن الشريعة كما وسع الخضر الخروج عن شريعة موسى:

ذهب أهل السنة والجماعة إلى أن من اعتقد أنه يمكن أن ينال مرتبة في الدين تمكنه من الخروج عن شريعة محمد ﷺ أنه كافر بهذا الاعتقاد، قال القاضي عياض: من ادعى النبوة لنفسه أو جوز اكتسابها والبلوغ بصفاء القلب إلى مرتبتها كالفلاسفة وغلاة المتصوفة وكذلك من ادعى منهم أنه يوحي إليه ولم يدع النبوة وأنه يصعد إلى السماء ويدخل الجنة ويأكل من ثمارها ويعانق الحور العين فهؤلاء كلهم كفار مكذبون للنبي ﷺ(٩٦).

قال ابن القيم: ومن ظن أنه يستغني عما جاء به الرسول ﷺ بما يلقي في قلبه من الخواطر والهواجس فهو من أعظم الناس كفراً، وكذلك إن ظن أنه يكتفي بهذا تارة وهذا تارة..(٩٧).

وقال في الإقناع: ومن اعتقد أن لأحد طريقاً إلى الله من غير متابعة محمد ﷺ أو لا يجب عليه اتباعه أو لأن له أو لغيره خروجاً عن اتباعه

---

(٩٦) الشفا للقاضي عياض ٢/٢٨٤ – ٢٨٦، وج ٥ ص ٤١٢ بشرح علي القاري.

(٩٧) إغاثة اللهفان لابن القيم ٢/١٢٣.

ﷺ وأخذ ما بعث به أو قال أنا محتاج إليه في علم الظاهر دون علم الباطن، أو في علم الشريعة دون علم الحقيقة، أو قال إن من الأولياء من يسعه الخروج عن شريعته، كما وسع الخضر الخروج عن شريعة موسى ﷺ أو أن هدي غير النبي ﷺ خير من هديه فهو كافر(٩٨).

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية: من اعتقد أن أحداً من أولياء الله يكون مع النبي ﷺ كما كان الخضر مع موسى عليه السلام" فإنه يستتاب فإن تاب وإلا ضربت عنقه... ومن اعتقد أنه يسوغ لأحد الخروج عن شريعته وطاعته فهو كافر يجب قتله(٩٩).

وقال في موضع آخر: فدعوة محمد ﷺ شاملة لجميع العباد ليس لأحد الخروج عن متابعته وطاعته والاستغناء عن رسالته، كما ساغ للخضر الخروج عن متابعة موسى وطاعته، مستغنياً عنه بما علمه الله وليس لأحد ممن أدركه الإسلام أن يقول لمحمد ﷺ: إني على علم من الله علمنيه لا تعلمه، ومن سوغ هذا أو اعتقد أن أحداً من الخلق الزهاد والعباد أو غيرهم له الخروج عن دعوة محمد ﷺ ومتابعته فهو كافر باتفاق المسلمين، ودلائل هذا في الكتاب والسنة أكثر من أن تذكر هنا..(١٠٠).

وقال أيضاً: من اعتقد أن لله رجالاً خواص لا يحتاجون إلى متابعة محمد ﷺ فهو كافر مرتد عن الإسلام باتفاق أئمة الإسلام(١٠١).

---

(٩٨) الإقناع مع شرحه كشاف القناع ج ٦ ص ١٧١.

(٩٩) مجموع الفتاوى لابن تيمية ج ٣ ص ٤٢٢ ج ٤ ص ٣١٨ ج ٢٧ ص ٥٩.

(١٠٠) الفتاوى ج ١١ ص ٤١٨ وما بعدها.

(١٠١) نفسه ج ١٠ ص ٤٣٤ - ٤٣٥.

النموذج الثالث

إيمان بعض الصوفية بعقيدة الاستمداد من المشايخ:

قبل عرض نماذج من أقوال بعض المتصوفة تلقى الضوء على إيمانهم بعقيدة الاستمداد من المشايخ، أرى من الأحسن ذكر مذهب أهل السنة والجماعة في المسألة أولاً، ثم أتبعه بما يثبت عقيدة الاستمداد من كتب الصوفية أنفسهم.

مذهب أهل السنة في حكم من آمن بجواز الاستمداد:

ذهب أهل السنة والجماعة إلى أن المدد كله من الله جل وعلا، فالله وحده هو الذي يملك النفع والضر والهداية والإضلال، وهو وحده الخالق الرازق المحيي المميت لا يملك أحد شيئاً من ذلك لا نبي مرسل ولا ملك مقرب فضلاً عن غيرهما، وأما مهمة الرسول صلوات الله وسلامه عليه فهي تبليغ ما أمره الله بتبليغه، مصداقاً لقول الله عز وجل ﴿ما على الرسول إلا البلاغ﴾[١٠٢]، وقد فعل ذلك كما أمره الله، فأرشد عليه الصلاة والسلام إلى طريق الخير فجزاه الله عن أمته خير الجزاء، وأما من جاء بعده من عباد الله الصالحين فعليهم الالتزام بما جاء به عليه الصلاة والسلام ودعوة الناس إليه والمجاهدة في سبيل ذلك بالنفس والمال وغيرهما فهذه هي مهمتهم لا غير، ولا يملك مخلوق نفعاً ولا ضراً، فالضر والنفع من تلقاء خالقنا وحده سبحانه، وأدلة ذلك من الوحي كثيرة جداً.

---

(١٠٢) المائدة ٩٩.

ففي الهداية والإضلال يقول عز وجل ﴿ فمن يرد الله أن يهديه يشرح صدره للإسلام ومن يرد أن يضله يجعل صدره ضيقاً حرجاً كأنما يصعد في السماء ﴾(١٠٣)، وفي بسط الرزق وضده يقول الله عز وجل ﴿ يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر ﴾(١٠٤) وفي إجابة الدعاء يقول ﴿ أمن يجيب المضطر إذا دعاه ويكشف السوء ويجعلكم خلفاء الأرض أإله مع الله ﴾(١٠٥)، ﴿ قل من ينجيكم من ظلمات البر والبحر ﴾(١٠٦) والله سبحانه وحده هو الرازق، قال عز وجل ﴿ وكأين من دابة لا تحمل رزقها الله يرزقها وإياكم ﴾(١٠٧)، وهو سبحانه وحده المتصرف ﴿ ألا له الخلق والأمر تبارك الله رب العالمين ﴾(١٠٨)، والآيات في هذا السياق كثيرة جداً والمتتبع لآيات القرآن الكريم يدرك بجلاء أن القرآن العظيم ليست فيه آية واحدة توجه الناس للتعلق بالمخلوق، بل على العكس من ذلك، فهو يوجه الناس للتعلق بالله سبحانه وتعالى لا غير، أما الأحاديث النبوية الشريفة فمنها الحديث الذي جاء فيه: « واعلم أن الأمة لو اجتمعت على أن ينفعوك بشيء لم ينفعوك إلا بشيء قد كتبه الله لك، وإن اجتمعوا على أن يضروك بشيء لم يضروك إلا بشيء قد كتبه الله عليك »(١٠٩)، وقال عليه الصلاة والسلام « .. اللهم لا مانع لما أعطيت ولا معطي لما منعت »(١١٠)، فلا أحد يقدر أن يرد عطاءه

---

(١٠٣) الأنعام ١٢٥.
(١٠٤) الشورى ١٢.
(١٠٥) النمل ٦٢.
(١٠٦) الأنعام ٦٤.
(١٠٧) العنكبوت ٦٠.
(١٠٨) الأعراف ٥٤.
(١٠٩) الترمذي بواسطة نقل المزي في تحفة الأشراف ج ٤ ص ٣٨٢.
(١١٠) البخاري مع الفتح ج ٢ ص ٣٢٥.

سبحانه ولا أحد يستطيع أن يعطي ما يمنعه جل وعلا، وقد اتفق علماء الأمة على أن طلب الحوائج من الأحياء والأموات والاستغاثة بهم فيما لا يقدر عليه إلا الله واعتقاد أنهم يمدون الناس بالخير ويمنعون عنهم الشر شرك بالله تعالى مخالف لكتاب الله وسنة رسوله ﷺ وإجماع الأمة(١١١).

قال شيخ الإسلام في تفسير الغوث في معتقد الصوفية:.. مثل تفسير بعضهم أن الغوث هو الذي يكون مدد الخلائق بواسطته في نصرهم ورزقهم حتى يقولون إن مدد الملائكة وحيتان البحر بواسطته، فهذا من جنس قول النصارى في المسيح عليه السلام، والغالية في علي رضي الله عنه، وهذا كفر صريح يستتاب منه صاحبه فإن تاب وإلا قتل فإنه ليس في المخلوقات لا ملك ولا بشر يكون إمداد الخلائق بواسطته(١١٢).

ولصنع الله الحنفي الحلبي كلام جيد جاء فيه:.. قد ظهر الآن بين المسلمين جماعات يدعون أن للأولياء تصرفات في حياتهم وبعد الممات ويستغاث بهم في الشدائد والبليات فيأتون قبورهم فينادونهم في قضاء الحاجات، وهذا الكلام فيه الهلاك الأبدي والعذاب السرمدي لما فيه من المخالفة لعقائد الأئمة وما اجتمعت عليه الأمة(١١٣)، وأما الهداية التي بمعنى الدلالة والاستمداد من المخلوق فيما يقدر عليه عادة فهذا من المعلوم الذي لا يحتاج إلى بيان.

وبعد بيان مذهب أهل السنة في الاستمداد من المخلوق وأنه ضلال عريض

---

(١١١) قاعدة جليلة في التوسل والوسيلة لأحمد بن عبدالحليم ص ١٥٧.

(١١٢) الجامع الفريد ص ٤٤ ط الجميح.

(١١٣) تيسير العزيز الحميد ص ١٩٦ – ١٩٧.

لا خلاف فيه عندهم؛ إليك طرفاً من أقوال بعض المتصوفة تثبت إيمانهم بهذه العقيدة الفاسدة:

يقول الدباغ: رأيت وليا بلغ مقاماً عظيماً وهو أنه يشاهد المخلوقات الناطقة والصامتة والوحوش والحشرات، والسماوات ونجومها، والأرضين، وكرة العالم بأسرها تستمد منه ويسمع أصواتها وكلامها في لحظة واحدة، ويمد كل واحد بما يحتاجه، ويعطيه ما يصلحه من غير أن يشغله هذا عن ذاك(١١٤).

ولماء العينين بن محمد فاضل الشنقيطي: فالذاكر إذا صور شيخه واستمد منه فاضت الأمداد من الحضرة الإلهية إلى قلب الرسول ﷺ ومن قلب الرسول إلى قلوب المشايخ على الترتيب حتى ينتهي إلى قلب شيخه، ومن قلب شيخه إلى قلبه بأسرع من لحظة طرفة(١١٥).

ويقول: فبعض الناس إمداداتهم ربانية من غير واسطة، وبعضهم تصل إليه إمداداته بواسطة قوم آخرين(١١٦).

ولأبي السعود: إن الله أعطاني التصرف منذ خمس عشرة سنة وتركناه تظرفا.

ولابن عربي في تعليقه على ذلك: وأما نحن فما تركناه تظرفاً وإنما تركناه لكمال المعرفة(١١٧).

---

(١١٤) الإبريز ج ٢ ص ٧٣.

(١١٥) نعت البدايات ص ١٨.

(١١٦) نفسه ص ١١١.

(١١٧) الفصوص ج ١ ص ١٢٩ ط الحلبي.

وللمناوي في طبقاته: إن روح ذي النون المصري كانت تدبر أجساماً عدة.

وللدباغ أيضاً قوله: وأهل الديوان إذا اجتمعوا فيه اتفقوا على ما يكون من ذلك الوقت إلي مثله من الغد فهم يتكلمون في قضاء الله تعالى في اليوم المستقبل والليلة التي تليه، ولهم التصرف في العوالم كلها السفلية والعلوية، وحتى في الحجب السبعين، فهم الذين يتصرفون فيه وفي أهله وفي خواطرهم وما تهجس به ضمائرهم فلا يهجس في خاطر واحد منهم شيء إلا بإذن أهل التصرف(١١٨).

ويقول الشعراني: إن شيخي أخذ علي العهد في القبة اتجاه وجه سيدي أحمد البدوي وسلمني إليه بيده فخرجت اليد الشريفة من القبر وقبضت على يدي، قال سيدي الشناوي يكون خاطرك عليه واجعله تحت نظرك فسمعت سيدي أحمد يقول من القبر نعم...(١١٩).

وللبرتلي في شأن سيدي أحمد بن البشير إن الصالحين اجتمعوا وجعلوه من أهل التصرف(١٢٠).

وللشعراني ناسباً للرفاعي: إن الرجل إذا صلحت سريرته مع الله كلفه ما بين السماء والأرض ثم لا يزال يرتفع حتى يصل إلى محل الغوث ثم ترتفع صفته إلى أن يصير صفة من صفات الله وأطلعه على غيبه حتى لا تنبت شجرة ولا تخضر ورقة إلا بنظره(١٢١).

---

(١١٨) الإبريز ج ٢ ص ٨ وما بعدها.

(١١٩) طبقات الشعراني ج ٢ ص ١٨٦، واقرأ ترجمة البدوي في الطبقات المذكورة ط دار الجيل.

(١٢٠) فتح الشكور للبرتلي الشنقيطي ص ٥٥.

(١٢١) طبقات الشعراني ج ١ ص ١٤٣ ط دار الجيل.

وزعم محمد مهدي الصيادي أن أبناء آدم كلهم مرحومون وأن منهم أولياء عارفين، وأن من هؤلاء الأولياء قسما يتصرفون في العالم(١٢٢) .

وللشعراني نقلاً عن ابن عربي الحلولي : اعلم أن لكل بدل من الأبدال السبعة قدراً يمده من روحانية الأنبياء الكائنين في السماوات، فينزل مدد كل بدل من حقيقة صاحبه الذي في السماء، قال : وكذلك أمداد الأيام السبعة فتنزل من هؤلاء الأبدال لكل يوم مدد يختص به من ذلك البدل(١٢٣) .

والحقيقة أن من أكثر المتصوفة غلوا في عقيدة الاستمداد طائفة التجانية؛ إذ يعتقدون أن أحمد التجاني يعطي ويمنع ويشفي ويمرض ويجيب دعاء المضطر وغير ذلك، والنصوص من كتبهم في إثبات عقيدة الاستمداد كثيرة، قال في بغية المستفيد : قال رضي الله عنه – يعني أحمد التجاني – إن الفيوض التي تفيض من ذات سيد الوجود ﷺ تتلقاها ذوات الأنبياء وكل ما فاض وبرز من ذوات الأنبياء تتلقاها ذاتي ومني يتفرق على جميع الخلائق من نشأة العالم إلى النفخ في الصور لا يتلقى ولي فيضاً من الله تعالى إلا بواسطته رضي الله عنه من حيث لا يشعر به ومدده الخاص به إنما يتلقاه من النبي ﷺ(١٢٤) .

وقال في الدرة الخريدة : فسيدي أبو الفيض أصل جميع الوسائل المتقدمة والمتأخرة والمنبع الذي تنفجر منه العلوم والفيوض والمعارف والأسرار لجميع

---

(١٢٢) برقمة البلبل من المجموعة النادرة ص ٧٧ – ٧٩ انظر الفكر الصوفي، مصدر سابق ص ٥٨٣ .

(١٢٣) اليواقيت والجواهر للشعراني، مصدر سابق ج ٥ ص ٨٢ – ٨٣.

(١٢٤) بغية المستفيد ص ٢٢٥ .

الأولياء والأقطاب والعارفين والأحباب(١٢٥).

قال في منية المريد:

وكم تصرف لذا الولي | في العالم العلوي والسفلي
وكم علمنا له من إبراء | حليف أمراض بلا دواء
وكم إعانة لذي أسفار | في الضنك في البحار والبراري

إلى أن يقول:

وكل ما ينال كل عارف | من الخلال ومن المعارف
فشيخنا أمده من النبي | وحزبه بنيله للرتب

وقال:

لا شك أن شيخنا التجاني | ممد كل عارف صمداني
يعطي ويمنع ويسلب(١٢٦) فمن | كمثله من الورى في ذا الزمن

والتجانيون يثبتون هذا المدد للتجاني في حياته وبعد وفاته.

---

(١٢٥) الدرة الخريدة ج ١ ص ٢٦.

(١٢٦) اعتقاد أن الصوفي يستطيع سلب نعم الله التي أنعم بها على عباده من إيمان وصحة ومال، خرافة قديمة ذكرها الشعراني - معتقداً لها - عن بعض الصوفية قال في طبقاته: أنكر رجل على الناس ما يفعلونه من المخالفات عند مولد البدوي، فسلبه البدوي الإسلام فاستغاث بالبدوي فرد عليه إسلامه بشرط ألا ينكر ما يجري عند المولد من المخالفات.. انظر بقية هرائه ج ١ ص ١٨٧ دار الجيل. ويروى بعض الشناقطة في مناسبة أبيات للعالم المشهور المختار بن بون حكاية مفادها أن الشيخ سيدي المختار الكنتي يؤمن بهذه الخرافة، والله أعلم. ومحل الغرض من هذه الأبيات قوله:

اتسلبني والله ما شاء مثبتي | إذن انت في تعظيم نفسك مفرطا

الوسيط ص ٢٨٢.

قال في بغية المستفيد: وقول الناظم: وليس يخلو من مقدم.. أراد به الناظم دفع من يتوهم انقطاع التربية بهذه الطريقة بوفاة الشيخ رضي الله عنه وبتطاول العهد، والرد على من يقول إن الشيخ الميت لا تنفع صحبته لانقطاع المدد بموته كما قيل بذلك ويريد أن يسحب الحكم على شيخنا...[127].

ومن أراد الازدياد فليراجع الطبقات واليواقيت كلاهما للشعراني وطبقات المناوي والإبريز لأحمد بن المبارك وجواهر المعاني وبغية المستفيد، وغير ذلك، فسوف يجد فيها الكثير من أقوال المتصوفة التي تثبت هذا المعتقد الفاسد نعوذ بالله من طمس البصيرة.

والآيات القرآنية والأحاديث النبوية في إبطال هذه العقيدة طافحة ويكفي فيها قوله تعالى في شأن عم النبي ﷺ: ﴿إنك لا تهدي من أحببت ولكن الله يهدي من يشاء﴾[128]، وقوله تعالى: ﴿ليس لك من الأمر شيء أو يتوب عليهم أو يعذبهم فإنهم ظالمون﴾[129]، فإذا كان النبي ﷺ لا يستطيع هداية عمه وهو من أقرب الناس إليه فكيف بغيره؟ وقال تعالى: ﴿قل لا أملك لنفسي نفعاً ولا ضراً إلا ما شاء الله﴾[130]، فإذا كان عليه الصلاة والسلام لا يملك لنفسه نفعاً ولا ضراً فكيف يملك ذلك غيره من سائر الناس من أصحاب الطرق الذين يدعون التصرف والنفع والضر، وقال عليه الصلاة والسلام لفاطمة: «يا فاطمة أنقذي نفسك من النار فإني لا

---

(١٢٧) بغية المستفيد ص ٢٩٣.

(١٢٨) القصص ٥٦، وراجع سبب نزول الآية في كتاب فتح الباري ج ٨ ص ٥٠٦.

(١٢٩) آل عمران ١٢٨.

(١٣٠) الأعراف ١٨٨.

أملك لكم من الله شيئاً..»[١٣١] إلى غير ذلك من الأحاديث الواردة في الموضوع. أفبعد هذه الأدلة الصريحة يمكن لمتصوف أو غيره أن يتجرأ على القول بأنه يقدر على ما لا يقدر عليه إلا الله؟ سبحانك هذا بهتان عظيم.

(١٣١) مسلم بشرح النووي ج ٢ ص ٨١.

النموذج الرابع

إيمان بعض المتصوفة أن بعض المشايخ يعلمون الغيب

يعتقد كثير من المتصوفة أن بعض مشايخهم يعلمون الغيب وأنهم ورثوا مفاتيح الغيب من النبي ﷺ، وهذه العقيدة مبثوثة في كتبهم، وسنذكر فيمايلي طرفاً من ذلك يتضح به المقصود: قال صاحب الإبريز: إذا أراد الله عز وجل أن يرقى العبد إلى مقامات الرجال يكلفه بأمر نفسه.. ثم لا يزال يرتفع من سماء إلى سماء حتى يصل إلى محل الغوث(١٣٢)، ثم ترتفع صفته إلى أن يصير صفة من صفات الحق تبارك وتعالى وأطلعه الله على غيبه حتى لا تنبت شجرة ولا تخضر ورقة إلا بنظره وهناك يتكلم عن الله تعالى بكلام لا يسعه عقول الخلائق، ويقول رأيت ولياً بلغ مقاماً عظيماً وهو أنه يشاهد المخلوقات الناطقة والصامتة والوحوش والحشرات والسماوات ونجومها والأرضين وكرة العالم بأسرها تستمد منه ويسمع أصواتها وكلامها في لحظة واحدة ويمد كل واحد بما يحتاجه ويعطيه ما يصلحه من غير أن يشغله هذا عن ذاك(١٣٣).

وذكر المقبلي اليماني في «العلم الشامخ» قول بعض أعلام الصوفية: لو تحركت نملة في ليلة ظلماء فوق صخرة صماء ولم أسمعها لقلت إني مخدوع، ثم قال: كيف أقول ذلك وأنا محركها.

ويستطرد قائلاً: ودعواهم التصرف في العالم وعلمهم وعروجهم إلى

(١٣٢) الغوث أو القطب على المعنى الذي يعتقده الصوفية خرافة لا دليل عليها من كتاب ولا سنة، قال شيخ الإسلام ابن تيمية: ثلاثة أشياء ما لها من أصل، باب النصيرية ومنتظر الرافضة وغوث الجهال.

(١٣٣) الإبريز ج ٢ ص ٧٣، وانظر طبقات الشعراني ج ١/ ٤٣، دار الجيل.

ربهم وغير ذلك مما لا يقع للأنبياء مصرح به في كتبهم[١٣٤] .

وللحلولي ابن عربي في كتاب الفصوص.. فاقتصرت على ما ذكرته من هذا الحكم في الكتاب على حد ما ثبت في أم الكتاب[١٣٥] .

وقال في موضع آخر: ولا أنزل في هذا المسطور إلا ما ينزل به علي.

ويقرر الشعراني ما قاله سلفه ابن عربي في أنه لا فرق بين وحي الأولياء ووحي الأنبياء إلا أن وحي الأنبياء تشريع جديد، وأما الأولياء فإن وجهتهم كشف وعلم واتباع لشرع الأنبياء[١٣٦] .

وللرفاعي إذا صلح القلب أخبرك بما وراءك وأمامك، ونبهك على أمور لم تكن تعلمها بشيء دونه[١٣٧] .

وذكر السبكي أن أبا العباس الملثم كان يدعي علم الغيب وأنه يتلبس بشخصيات غير شخصيته[١٣٨] .

وفي جواهر المعاني لعلي حرازم عن أحمد التجاني: ومن كلامه رضي الله عنه ونفوذ بصيرته الربانية التي ظهر مقتضاها في معرفة أحوال الأصحاب وفي غيرها من إظهار مضمرات وأخبار مغيبات وعلم بعواقب الحاجات وما يترتب عليها من المصالح والآفات وغير ذلك من الأمور الواقعات[١٣٩] .

وفي الرماح: وينبغي للمريد أن يعتقد في شيخه أنه يرى أحواله كلها

(١٣٤) بواسطة نقل السندي في كتابه التصوف في ميزان البحث والتحقيق ص ٤١٨.

(١٣٥) الفصوص ص ٤٨، وانظر الفكر الصوفي ص ١١٨.

(١٣٦) الفكر الصوفي ص ٢٨٠.

(١٣٧) طبقات الشعراني ج ١ ص ١٤٢.

(١٣٨) التصوف للسندي ص ١٧٥.

(١٣٩) جواهر المعاني مصدر سابق ج ١ ص ٦٣.

كما يرى الأشياء في الزجاجة[١٤٠].

وفي بغية المستفيد: وأما إخباره بالأمر قبل وقوعه فيقع وفق ما أخبر به فلا يكاد ينحصر[١٤١].

وفي الخريدة: قلت لا مانع من كونه تعالى يطلع على غيبه بعض أصفيائه[١٤٢].

ولابن عربي الحلولي أيضاً قوله: إن الصوفية أحياناً ينزل عليهم الوحي مكتوباً من السماء وقال إنه هو يعلم الفرق بين ما في اللوح المحفوظ من كتابه وما يكتبه المخلوقون، وبذلك يستطيع أن يفرق بين المكتوب النازل من السماء والمكتوب في الأرض[١٤٣].

وللشعراني في شأن الوحي الصوفي: .. وقد يكون ذلك كتابة ويقع كثيراً وبه كان يوحي لأبي عبدالله قضيب البان وغيره[١٤٤].

ويقرر الشعراني وغيره من المتصوفة صراحة في أكثر من مصدر أن الأولياء يعلمون الغيب كما كان يعلمه الرسول ﷺ عن طريق الوحي[١٤٥].

ولأحمد بن المبارك أن شيخه الدباغ يعلم ما في اللوح المحفوظ كله من المقادير ولا تغيب عنه ذرة في الأرض ولا في السماء وأنه هو المتحكم في العالم العلوي والسفلي[١٤٦].

---

(١٤٠) الرماح ج ١ ص ٢٨.
(١٤١) بغية المستفيد ص ٢٤٦ – ٢٤٧.
(١٤٢) الدرة الخريدة لمحمد فنحا السوسي ج ١ ص ٢١٩.
(١٤٣) الفكر الصوفي ص ٢٨٦.
(١٤٤) اليواقيت للشعراني ج ٢ ص ٨٣ – ٨٤.
(١٤٥) انظر: باب الصوفي في الإبريز.
(١٤٦) الفكر الصوفي ص ١٦١ – ٢٥٠.

ومن هراء عبدالله السوداني قوله: إنه عرج به إلى السماوات سماء بعد سماء وأنه رأى الملائكة واجتمع برئيسهم ولقي إبراهيم عليه السلام وأكرمه بالقيام له[١٤٧]، إلى آخر هذا الهذيان، وقد سبق كلام أبي يزيد البسطامي وأبي حامد الغزالي في الموضوع..

ولصاحب كتاب فتح الشكور في الكلام في مناقب سدي مولاي زيدان؟.. ومنها كلامه على الخواطر والضمائر[١٤٨].

وللشيخ ماء العينين قوله:.. ومن ذلك ورد القادرية.. ومن أجل فوائده أن صاحبه لا يموت إلا على حسن الخاتمة[١٤٩].

ويقول حدثني من أثق به أن من تلامذة شيخنا رضي الله عنه أنه بشر أنه لا يتتلمذ عليه شقي ولو عمل ما عمل ولا يتزوج بشقية ولو عملت ما عملت وأن هذا هو الذي حمله على كثرة التزويج[١٥٠].

وحدثني من أثق به أن بعض أعلام القادرية في شنقيط يقول بعقيدة حضور بعض مشايخهم عند قبض أرواح المريدين في أي بلد من بلاد الله..

---

(١٤٧) نفسه ص ٣٢٣ - ٣٢٦ - ٣٣٠.

(١٤٨) فتح الشكور في أعيان علماء التكرور لمحمد بن عبدالله بن أبي بكر البرتلي الشنقيطي ص ٩٨.

(١٤٩) نعت البدايات وتوصيف النهايات ص ٢٠٢.

(١٥٠) نفسه ص ٩٨.

موقف أهل السنة والجماعة من علم الغيب:

مذهب أهل السنة والجماعة أن الله وحده هو الذي يعلم الغيب دون سواه لا ملك مقرب ولا نبي مرسل، وأنه يطلع من يرتضيه من رسله على بعض الغيب إذا شاء متى شاء، كما أوحى إلى نبينا عليه الصلاة والسلام هذا القرآن العظيم.

قال في الفتح: قوله تعالى ﴿فلا يظهر على غيبه أحداً إلا من ارتضى من رسول﴾[١٥١] في الآيتين رد على كل من يدعي أنه يطلع على ما سيكون من حياة أو موت أو غير ذلك لأنه مكذب للقرآن، وهم أبعد شيء عن الارتضاء مع سلب الرسلية عنهم[١٥٢].

وقال القرطبي.. فالله تعالى عنده علم الغيب وبيده الطرق الموصلة إليه لا يملكها إلا هو فمن شاء إطلاعه ومن شاء حجبه عنها حجبه ولا يكون ذلك من إفاضته إلا على رسله بدليل قوله تعالى ﴿وما كان الله ليطلعكم على الغيب ولكن الله يجتبي من رسله من يشاء﴾[١٥٣]، وقال تعالى ﴿عالم الغيب فلا يظهر على غيبه أحداً إلا من ارتضى من رسول﴾[١٥٤].

والآيات في هذا المعنى كثيرة منها قوله تعالى: ﴿قل لا يعلم من في السماوات والأرض الغيب إلا الله﴾[١٥٥]، فهذه الآية صريحة في حصر علم الغيب بالله وحده ونفيه عما سواه، وفي ذلك يقول القرطبي: لا يجوز أن

---

(١٥١) سورة الجن ٢٦.

(١٥٢) فتح الباري لابن حجر ج ١٣ ص ٣٦٤ – ٣٦٥.

(١٥٣) آل عمران ١٧٩.

(١٥٤) القرطبي ج ٧ ص ٢، والآيات: ٢٦ – ٢٧ الجن.

(١٥٥) النمل ٦٥.

ينفي الله جل وعلا شيئاً عن الخلق ويثبته لنفسه ثم يكون له في ذلك شريك[156].

ومن السنة حديث البخاري عن عائشة الذي جاء فيه ومن حدثك أنه يعلم الغيب فقد كذب، وهو يقول: ﴿لا يعلم الغيب إلا الله﴾[157] فإذا كان الرسول ﷺ لا يعلم الغيب فلا شك أن غيره من باب أولى.

قال أبو حيان في الرد على المتصوفة الذين يدعون علم الغيب عند قوله تعالى ﴿وعنده مفاتح الغيب لا يعلمها إلا هو﴾[158]: .. ولقد يظهر من هؤلاء المنتسبة إلى الصوف أشياء من ادعاء علم المغيبات والاطلاع على علم عواقب أتباعهم وأنهم معهم في الجنة مقطوع لهم ولأتباعهم بها يخبرون بذلك على رؤوس المنابر ولا ينكر ذلك أحد، هذا مع خلوهم من العلوم يوهمون أنهم يعلمون الغيب.

وفي صحيح مسلم عن عائشة رضي الله عنها: ومن زعم أن محمداً يخبر بما يكون في غد فقد أعظم على الله الفرية، والله تعالى يقول: ﴿قل لا يعلم من في السماوات والأرض الغيب إلا الله﴾، وقد كثرت هذه الدعاوي والخرافات في البلاد وقام بها ناس صبيان العقول يسمون بالشيوخ عجزوا عن مدارك العقل وأعياهم طلاب العلوم[159] ..

وبالجملة فكلام العلماء في إبطال دعوى الاطلاع على علم الغيب وتكفير بعضهم لمدعي معرفة ذلك كثير جداً، وأروع ما كتب في ذلك ما

(١٥٦) تفسير القرطبي ج ٤ ص ١٧.
(١٥٧) البخاري مع الفتح ج ١٧ ص ٢٢٨.
(١٥٨) الأنعام ٥٩.
(١٥٩) البحر المحيط ج ٤ ص ١٤٥ – ٤٣٦ و ج ٥ ص ٩٣ وراجع مجموعة فتاوى ابن تيمية ج ١٦ ص ١١٠.

كتبه الشيخ الأمين بن محمد المختار الشنقيطي عليه رحمة الله، عند قوله تعالى: ﴿وعنده مفاتح الغيب لا يعلمها إلا هو﴾[١٦٠] وسأسوق لك ما كتبه بتمامه، ففيه مقنع لأصحاب القلوب الحية، والله المستعان.

قال رحمه الله: قوله تعالى ﴿وعنده مفاتح الغيب لا يعلمها إلا هو﴾ بين تعالى المراد بمفاتح الغيب بقوله: ﴿إن الله عنده علم الساعة وينزل الغيث ويعلم ما في الأرحام وما تدري نفس ما ذا تكسب غداً وما تدري نفس بأي أرض تموت إن الله عليم خبير﴾[١٦١] فقد أخرج البخاري وأحمد وغيرهما عن ابن عمر عن النبي ﷺ أن المراد بمفاتح الغيب الخمس المذكورة في الآية المذكورة، والمفاتح: الخزائن، جمع مفتح بفتح الميم بمعنى المخزن، وقيل: هي المفاتيح جمع مفتح بكسر الميم وهو المفتاح، وتدل له قراءة ابن السميقع مفاتيح بياء بعد التاء، جمع مفتاح، وهذه الآية الكريمة تدل على أن الغيب لا يعلمه إلا الله وهو كذلك، لأن الخلق لا يعلمون إلا ما علمهم خالقهم جل وعلا، وعن عائشة رضي الله عنها قالت: «من زعم أن رسول الله ﷺ يخبر بما يكون في غد فقد أعظم على الله الفرية والله يقول قل لا يعلم من في السماوات والأرض الغيب إلا الله، أخرجه مسلم[١٦٢] والله تعالى في هذه السورة الكريمة أمره ﷺ أن يعلن للناس أنه لا يعلم الغيب وذلك في قوله تعالى ﴿قل لا أقول لكم عندي خزائن الله ولا أعلم الغيب ولا أقول لكم إني ملك إن أتبع إلا ما يوحى إلي﴾[١٦٣] ولذا لما رميت عائشة رضي

(١٦٠) الأنعام ٥٩.
(١٦١) لقمان ٣٤.
(١٦٢) انظر صحيح مسلم رقم ١٧٧ كتاب الإيمان.
(١٦٣) الأنعام ٥١.

الله عنهـا بالإفك لم يعلم أهي بريئـة أم لا حتى أخبره الله تعالى بقوله ﴿أولئك مبرؤون مما يقولون﴾[١٦٤] ، وقد ذبح إبراهيم عليه وعلى نبينا الصلاة والسلام عجله للملائكة ولا علم له بأنهم ملائكة حتى أخبروه وقالوا له ﴿إنا أرسلنا إلى قوم لوط﴾[١٦٥] ، ولما جاءوا لوطاً لم يعلم أيضاً أنهم ملائكة ولذا سيء بهم وضاق بهم ذرعاً وقال: ﴿هذا يوم عصيب﴾[١٦٦] يخاف عليهم من أن يفعل بهم قومه فاحشتهم المعروفة حتى قال: ﴿لو أن لي بكم قوة أو آوي إلى ركن شديد﴾[١٦٧] ولم يعلم خبرهم حتى قالوا له: ﴿إنا رسل ربك لن يصلوا إليك..﴾[١٦٨] الآيات، ويعقوب عليه السلام ابيضت عيناه من الحزن على يوسف وهو في مصر لا يدري خبره حتى أظهر الله خبر يوسف، وسليمان عليه السلام مع أن الله سخر له الشياطين والريح ما كان يدري عن أهل مأرب قوم بلقيس حتى جاءه الهدهد وقال له: ﴿إني أحطت بما لم تحط به وجئتك من سبأ بنبأ يقين﴾[١٦٩] الآيات.

ونوح عليه وعلى نبينا الصلاة والسلام ما كان يدري أن ابنه الذي غرق ليس من أهله الموعود بنجاتهم حتى قال: ﴿رب إن ابني من أهلي وإن وعدك الحق﴾[١٧٠] الآية، ولم يعلم حقيقة الأمر حتى أخبره الله بقوله: ﴿يا نوح إنه ليس من أهلك إنه عمل غير صالح فلا تسألن ما ليس لك به علم إني أعظك أن تكون من الجاهلين﴾[١٧١] .

---

(١٦٤) النور ٢٦.
(١٦٥) سورة هود ٧٠.
(١٦٦) هود ٧٦.
(١٦٧) هود ٧٩.
(١٦٨) هود ٨٠.
(١٦٩) النمل ٢٢.
(١٧٠) هود ٤٥.
(١٧١) هود ٤٦.

وقد قال تعالى عن نوح في سورة هود: ﴿ولا أقول لكم عندي خزائن الله ولا أعلم الغيب﴾[١٧٢] الآية، والملائكة عليهم الصلاة والسلام لما قال لهم: ﴿أنبئوني بأسماء هؤلاء إن كنتم صادقين قالوا سبحانك لا علم لنا إلا ما علمتنا﴾[١٧٣] فقد ظهر أن أعلم المخلوقات وهم الرسل والملائكة لا يعلمون من الغيب إلا ما علمهم الله تعالى وهو تعالى يعلم رسله من غيبه ما شاء كما أشار له بقوله: ﴿وما كان الله ليطلعكم على الغيب ولكن الله يجتبي من رسله من يشاء﴾[١٧٤] وقوله: ﴿عالم الغيب فلا يظهر على غيبه أحداً إلا من ارتضى من رسول﴾[١٧٥] الآية.

تنبيه: لما جاء القرآن العظيم بأن الغيب لا يعلمه إلا الله كان جميع الطرق التي يراد بها التوصل إلى شيء من علم الغيب غير الوحي من الضلال المبين وبعض منها يكون كفراً، ولذا ثبت عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: «من أتى عرافاً فسأله عن شيء لم تقبل له صلاة أربعين يوماً»[١٧٦].

ولا خلاف بين العلماء في منع العيافة والكهانة والعرافة والطرق والزجر والنجوم وكل ذلك يدخل في الكهانة لأنها تشتمل جميع أنواع ادعاء الاطلاع على علم الغيب، وقد سئل ﷺ عن الكهان فقال: «ليسوا بشيء»[١٧٧].

وقال القرطبي في تفسير هذه الآية ما نصه: فمن قال: إنه ينزل الغيث

---

(١٧٢) هود ٣١.

(١٧٣) البقرة ٣٠.

(١٧٤) آل عمران ١٧٩.

(١٧٥) الجن ٢٦.

(١٧٦) صحيح مسلم بشرح النووي ج ٧ ص ٤٨٤.

(١٧٧) نفسه ص ٤٨٣.

غدا وجزم به فهو كافر أخبر عنه بأمارة ادعاها أم لا، وكذلك من قال إنه يعلم ما في الرحم فإنه كافر فإن لم يجزم وقال: إن النوء ينزل به الماء عادة وأنه سبب الماء عادة وأنه سبب الماء على ما قدره وسبق في علمه لم يكفر إلا أنه يستحب له ألا يتكلم به فإن فيه تشبيهاً بكلمة أهل الكفر وجهلاً بلطيف حكمته لأنه ينزل متى شاء مرة بنوء كذا ومرة بدون النوء، قال الله تعالى: ﴿أصبح من عبادي مؤمن بي وكافر بالكوكب﴾(١٧٨) على ما يأتي بيانه في الواقعة إن شاء الله تعالى. قال ابن العربي وكذلك قول الطبيب: إذا كان الثدي الأيمن مسود الحلمة فهو ذكر، وإن كان في الثدي الأيسر فهو أنثى، وإن كانت المرأة تجد الجنب الأيمن أثقل فالولد أنثى، وادعى ذلك عادة لا واجباً في الخلقة لم يكفر ولم يفسق.

وأما من ادعى الكسب في مستقبل العمر فهو كافر، أو أخبر عن الكوائن المجملة أو المفصلة في أن تكون قبل أن تكون فلا ريبة في كفره أيضاً، فأما من أخبر عن كسوف الشمس والقمر فقد قال علماؤنا يؤدب ولا يسجن، أما عدم كفره فلأن جماعة قالوا: إنه أمر يدرك بالحساب، وتقدير المنازل حسب ما أخبر الله عنه من قوله: ﴿والقمر قدرناه منازل حتى عاد كالعرجون القديم﴾(١٧٩)، وأما أدبهم فلأنهم يدخلون الشك على العامة إذ لا يدرون الفرق بين هذا وغيره فيشوشون عقائدهم ويتركون قواعدهم في اليقين فأدبوا حتى يستروا ذلك إذا عرفوه ولا يعلنوا به.

قلت ومن هذا الباب ما جاء في صحيح مسلم عن بعض أزواج النبي

---

(١٧٨) البخاري مع الفتح ج ٣ ص ٦٢٣.

(١٧٩) يس ٣٨.

صلى الله عليه وسلم أن النبي ﷺ قال: «من أتى عرافاً فسأله عن شيء لم تقبل له صلاة أربعين ليلة»[(١٨٠)]، والعراف هو الحازي، والمنجم الذي يدعي علم الغيب وهي العرافة وصاحبها عراف وهو الذي يستدل على الأمور بأسباب ومقدمات يدعي معرفتها، وقد يعتضد بعض أهل هذا الفن في ذلك بالزجر والطرق والنجوم وأسباب معتادة في ذلك، وهذا الفن هو العيافة بالياء، وكلها ينطلق عليها اسم الكهانة، قال القاضي عياض: والكهانة ادعاء الغيب، قال أبو عمر بن عبدالبر في الكافي من المكاسب المجتمع على تحريمها: الربا ومهور البغايا والسحت والرشا وأخذ الأجرة على النياحة والغناء وعلى الكهانة وادعاء الغيب وأخبار السماء وعلى الزمر واللعب والباطل كله. انتهى من القرطبي بلفظه.

وقد رأيت تعريفه للعراف والكاهن، وقال البغوي: العراف الذي يدعي معرفة الأمور بمقدمات يستدل بها على المسروق ومكان الضالة ونحو ذلك.

وقال أبو العباس ابن تيمية: العراف اسم للكاهن والمنجم والرمال ونحوهم ممن يتكلم في معرفة الأمور بهذه الطرق، والمراد بالطرق: قيل الخط الذي يدعي به الاطلاع على الغيب، وقيل إنه الضرب بالحصى الذي يفعله النساء، والزجر هو العيافة وهي التشاؤم والتيامن بالطير وادعاء معرفة الأمور من كيفية طيرانها ومواقعها وأسمائها وألوانها وجهاتها التي تطير إليها.. ووجه تكفير بعض أهل العلم لمن يدعي الاطلاع على الغيب أنه ادعى لنفسه ما استأثر الله تعالى به دون خلقه، وكذب القرآن الوارد بذلك كقوله تعالى:

(١٨٠) صحيح مسلم بشرح النووي ج ١ ص ٣٣٦ – ٣٣٧.

﴿قل لا يعلم من في السماوات والأرض الغيب إلا الله﴾[١٨١] وقوله هنا ﴿وعنده مفاتح الغيب لا يعلمها إلا هو﴾[١٨٢].

(١٨١) النمل ٦٥.

(١٨٢) أضواء البيان للشيخ محمد الأمين بن محمد المختار الشنقيطي ج ٢ ص ١٩٥ – ١٩٩.

النموذج الخامس

اعتقاد بعض الصوفية إمكان التلقي عن الله أو عن رسوله ﷺ بعد وفاته مباشرة

عقيدة إمكان التلقي عن الله أو عن رسوله ﷺ بعد وفاته مباشرة معروفة بين المتصوفة.. ومن أكثر منحرفي الصوفية اعتقاداً لها ونشراً، الحلولي المشهور ابن عربي الطائي، فقد قال في كتابه الفصوص: أما بعد فإني رأيت رسول الله ﷺ بدمشق سنة ٦٢٧ للهجرة وبيده كتاب، فقال لي: هذا كتاب فصوص الحكم خذه واخرج به إلى الناس ينتفعون به، فقلت السمع والطاعة لله ولرسوله.. فحققت الأمنية وجردت القصد إلى إبراز هذا الكتاب كما حدده لي رسول الله من غير زيادة ولا نقصان.. إلى أن يقول: فمن الله فاسمعوا وإلى الله فارجعوا(١٨٣).

وفي ورد الشاذلية يقول مؤلف مفاتيح الكنوز، قال سيدي أحمد رضي الله عنه: اجتمعت بالنبي ﷺ اجتماعاً صورياً ومعه الخضر، فأمر النبي الخضر أن يلقنني أذكار الطريقة الشاذلية فلقنني إياها بحضرته. إلى أن يقول: ثم لقنها لي النبي ﷺ من غير وساطة فصرت ألقنها المريدين كما لقنها لي رسول الله ﷺ(١٨٤).

ومن كلام أبي يزيد البسطامي ناعياً على علماء الشريعة ومفاخراً لهم: أخذتم علمكم ميتاً عن ميت؛ وأخذنا علمنا عن الحي الذي لا يموت(١٨٥).

---

(١٨٣) الفصوص ص ٤٧ تحقيق أبي العلاء عفيفي ط بيروت.

(١٨٤) مفاتيح كنوز السماوات والأرض تأليف صالح بن محمد الجعفي ص ٨ – ٩.

(١٨٥) الفتوحات المكية ج ١ ص ٣٦٥.

ويقول آخر من أصحاب هذه الفلسفة حدثني قلبي عن ربي.

وللشيخ أحمد الرفاعي: وعدني رسول كرمه أن يأخذ بيد مريدي وحبي ومن تمسك بي وبذريتي وخلفائي في مشارق الأرض ومغاربها إلى يوم القيامة عند انقطاع الحيل، بهذا جرت بيعة الروح لا يخلف الله وعده(١٨٦).

قال محمد عبدالكريم البزدوي المتوفى سنة ٤٧٨ للهجرة: وفي الصوفية قوم يدعون الإلهام يقولون حدثني قلبي عن ربي.. فهؤلاء شر خليقة الله، وواحد من هؤلاء حضر بلدة بخارى سنة ٤٧٨ للهجرة وقال: رأيت رسول الله ﷺ يصلي بأصحابه وغيرهم ويرفعون أيديهم عند الركوع وعند الرفع منه، فقيل له رأيته في المنام؟ قال: بل في اليقظة(١٨٧).

ويزعم محمد مهدي الصيادي أن طيراً في الحرم المكي أخبره أن الله كتب له صحيفة ووضعها له فوق مقام إبراهيم فقام وأخذها ووجد فيها كثيراً من الثناء عليه(١٨٨).

ومن قول الدسوقي: وما كان ولياً متصلاً بالله إلا وهو يناجي ربه كما كان موسى يناجي ربه(١٨٩).

وقرر النابلسي في مقدمة كتابه الفتح الرباني: أنه يكتب كتابه مترجماً عن الإلقاء له مباشرة وبغير وساطة وأنه وحي أو إلهام(١٩٠).

ولبعضهم: أوقفني – يعني الله – بين يديه فقال: سلني أي شيء رأيت

(١٨٦) البرهان المؤيد ص ٨٢ – ٨٣.
(١٨٧) أصول البزدوي.
(١٨٨) برقمة البلبل ص ٨٢ – ٨٣.
(١٨٩) طبقات الشعراني مصدر سابق.
(١٩٠) الفتح الرباني، وانظر الفكر الصوفي ص ١٦٢.

حتى أهبه لك، فقلت يا سيدي: ما رأيت شيئاً أستحسنه فأسألك إياه[191].

ولماء العينين: لما قدمت مكة وجدت بها عبدالرحمن أفندي وأهداني شيئاً كثيراً من لباس الكعبة فعجبت من ذلك، فقال لا تعجب إنما فعلت لك ذلك لأن أباك محمد فاضل أرانيه رسول الله ﷺ، وقال: إنه خليفته اليوم. وأخبرني أن عندك السر الذي به قامت السماوات والأرض، وقال لي إني أقول لك أنك تعطينيه وتعطيني سر الحاء.. فحمدت الله وفعلت ما به أمرت من نبيي[192].

وذكر السندي عن أحد الصوفية يسمى أبا الفتوح أنه يقول برؤية النبي ﷺ يقظة، وأنه استفاد منه[193].

وقال محمد مهدي الصيادي الرفاعي أيضا« في شأن كتابه « الدرة البيضاء » : أمرني بكتابتها وإذاعتها حبيبي رسول ﷺ [194].

ولأحمد التجاني في كتاب جواهر المعاني: « أمرني رسول الله ﷺ بجمع كتاب جواهر المعاني »[195] وقال: نهاني رسول الله ﷺ عن التوجه بالأسماء الحسنى وأمرني بالتوجه بصلاة الفاتح[196].

وللدباغ في شأن الشيخ الصوفي: كيف ينكر عليه والنبي ﷺ لا يغيب

---

(١٩١) إحياء علوم الدين للغزالي ج ٤ ص ٣٥٦، وانظر: قوت القلوب لأبي طالب المكي ص ١٠٣.

(١٩٢) نعت البدايات ص ١٩٩ - ٢٠٠. حدثني أحد تلامذة الشيخ الأمين أنه جاءه رجل وقال: رأيت النبي صلى الله عليه وسلم وقال لي إنى آتيك لتعلمني، فقال له: العلم عنده هو صلى الله عليه وسلم اكثر واكثر، فارجع إليه ليعلمك فعرف أن الشيخ الأمين رحمه الله لا يصغي لمثل هذا الدجل.

(١٩٣) التصوف للسندي ص ١٨٢.

(١٩٤) المجموعة النادرة ص .

(١٩٥) جواهر المعاني ص ٤٥.

(١٩٦) الإفادة الأحمدية ص ٧٥.

عنه طرفة عين ولا يخرج عن مشاهدة الحق، فلا يجوز الإنكار على شيوخ التصوف ولو وقع منهم المنكر(١٩٧).

ويزعم البيومي علي بن حجازي المتوفى سنة ١١٨٣ للهجرة أنه رأى الشيخ دمرداش، وأنه قال له: لا تخف في الدنيا ولا في الآخرة، وأنه كان يرى النبي ﷺ في الخلوة وأنه سمعه يقول لأبي بكر: اسع بنا نطل على زاوية دمرداش، وأنه دخل على السيد البدوي ورأى النبي ﷺ عنده، وأنه خشي أن يكون واهماً في رؤية النبي ﷺ، فرأى الدمرداش عند ضريحه يقول له: مد يدك إلى النبي ﷺ فهو حاضر عندي(١٩٨).

مذهب أهل السنة في رؤية الرسول ﷺ بعد وفاته يقظة:

قبل ذكر مذهب أهل السنة والجماعة في هذه المسألة يحسن أن أنبه القارئ إلى أنه لا خلاف بين أهل السنة في رؤية النبي ﷺ في المنام، لحديث البخاري وغيره: « من رآني في المنام فقد رآني فإن الشيطان لا يتمثل بي » وقوله ﷺ: « ومن رآني فقد رأى الحق »(١٩٩).

وأما رؤيته ﷺ بعد وفاته فمذهب جمهور أهل السنة والجماعة أنه لا يرى يقظة، وهو الحق الذي لا مرية فيه، ومن رأى ما يوهم ذلك فإنه من تلبيس الشيطان لعنه الله.

قال علماء أهل السنة: ولا يرد عليه حديث « فإن الشيطان لا يتمثل

---

(١٩٧) الإبريز ص ١٩٢ - ٢٠٣.
(١٩٨) هذه هي الصوفية ص ١٢١، مصدر سابق.
(١٩٩) البخاري مع الفتح ج ١٦ ص ١٨٧ ومسلم ج ٨ ص ٢٨ - ٢٩.

بـي»[٢٠٠] لأن الشيطان - كما أخبر ﷺ - لا يتمثل به، لكن الشيطان يخبر قرينه بخبر كاذب.

قال شيخ الإسلام أحمد بن عبدالحليم:.. وقد ثبت في الصحيح أنه ﷺ قال: «من رآني في المنام فقد رآني حقاً فإن الشيطان لا يتمثل في صورتي»[٢٠١] فهذا في رؤية المنام لأن رؤية المنام تكون حقاً وتكون من الشيطان، فمنعه الله أن يتمثل به في المنام.

أما في اليقظة فلا يراه أحد بعينه في الدنيا، فمن ظن أن المرئي هو النبي ﷺ فقد أتى من جهله، ولهذا لم يقع مثل هذا لأحد من الصحابة والتابعين لهم بإحسان.

وبعض من رأى هذا أو صدق من قال إنه رآه اعتقد أن الشخص الواحد يكون بمكانين في حالة واحدة، فخالف صريح المعقول[٢٠٢].

وقال النووي: نقل أصحابنا الاتفاق على أنه لا يغير بسبب ما يراه النائم ما تقرر في الشرع وليس هذا الذي ذكرناه مخالفا لقوله ﷺ: «من رآني في المنام فقد رآني» فإن معنى الحديث أن رؤيته صحيحة وليست من أضغاث الأحلام وتلبيس الشيطان، ولكن لا يجوز إثبات حكم شرعي به. ونقل عياض الإجماع على ذلك.

وقال القرطبي في بيان فساد قول من قال بإمكان رؤية النبي ﷺ بعد

---

(٢٠٠) المصدر السابق.

(٢٠١) البخاري مع الفتح ج ١، ص ٣٨٠.

(٢٠٢) قاعدة جليلة في التوسك والوسيلة ص ٢٩ - ٣٠ راجع إن شئت كتاب «الفرق بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان»، لتقي الدين بن تيمية.

وفاته يقظة: ... هذا قول يدرك فساده بأوائل العقول، ويلزم عليه أن لا يراه أحد إلا على صورته التي مات عليها، وأن لا يراه رائيان في آن واحد في مكانين وأن يحي الآن ويخرج من قبره ويمشي في الأسواق ويخاطب الناس ويخاطبوه، ويلزم من ذلك أن يخلو قبره من جسده الشريف فلا يبقى في قبره منه شيء فيزار مجرد القبر ويسلم على غائب لأنه جائز أن يرى في الليل والنهار مع اتصال الأوقات على حقيقته في غير قبره، وهذه جهالات لا يلتزم بها من له أدنى مسكة من عقل[٢٠٣].

وأدلة أهل السنة على امتناع رؤية النبي ﷺ بعد وفاته يقظة كثيرة، ومن أهمها مايلي:

١- أن روية الرسول عليه الصلاة والسلام يقظة بعد وفاته من باب العقائد، والعقائد مبنية على التوقيف فلا يجزم بنفي شيء ولا إثباته إلا بدليل يصح الاعتماد عليه، ولم يرد في الكتاب ولا في السنة ما يدل على إثباتها، ولم تقع لأحد من الصحابة والتابعين لهم بإحسان[٢٠٤].

٢- أنه قد حدثت حوادث خطيرة في صدر الإسلام كانت الحاجة فيها إلي ظهوره ﷺ شديدة جداً، ومع ذلك لم يذكر أحد أنه ﷺ رؤي يقظة فكيف يظهر للمفضول ولا يظهر للفاضل[٢٠٥].

٣- أن روية النبي ﷺ بعد وفاته يقظة مستحيلة شرعاً وعقلاً، فمن قال بأن النبي ﷺ يرى يقظة بعد موته في الدنيا فقد أتى بقول يدرك فساده

---

(٢٠٣) فتح الباري ج ١٦ ص ١٨٩ وشرح الزرقاني على المواهب اللدنية ج ٥ ص ٢٩٣.

(٢٠٤) قاعدة جليلة في التوسل والوسيلة ص ٢٩ - ٣٠ والمواهب اللدنية بشرح الزرقاني ج ٥ ص ١٣٠ - ١٣٨ - ١٩٥ - ٢٩٩.

(٢٠٥) فتح الباري ج ١٦ ص ١٨٩ وانظر: مشتهى الخارف الجاني ص ٥٥ - ٥٦.

بأوائل العقول، كما تقدم عن القرطبي وغيره.

يقول القسطلاني: وبالجملة، فالقول برؤية النبي ﷺ بعد موته بعين الرأس في اليقظة يدرك فساده بأوائل العقول، لاستلزامه خروجه من قبره ومشيه في الأسواق ومخاطبة الناس له..[٢٠٦].

٤- أن السيوطي مع شدة انتصاره لجواز رؤية النبي ﷺ بعد وفاته يقظة لم يرو فيها حديثاً صحيحاً ولا ضعيفاً ولو وجد شيئاً من ذلك لأورده، ولو وقعت لأحد من الصحابة أو التابعين وتابعيهم لذكره انتصاراً لرأيه، ولم يستدل عليها إلا باحتمال من سبع احتمالات في حديث «فسيراني في اليقظة» والقاعدة الأصولية: أن الدليل إذا تطرقه الاحتمال بطل به الاستدلال، وذلك يعرفه السيوطي جيداً، ولكنه الانتصار للرأي لا غير.

٥- قال الألوسي: فقول النبهاني أن النبي ﷺ.. لا يخلو منه زمان ولا مكان. هو من شعب عقيدة الحلول والاتحاد التي يعتقدها. غاية الأماني ١ / ٥٠ - ٥١.

-٢-

ترجمة موجزة لمؤسس الطريقة التجانية:

هو أحمد بن محمد بن المختار التجاني المضاوي، والتجاني نسبة إلى أخواله «بني تجين»، طائفة من البربر، نسب إليهم لطول مقامه بينهم[٢٠٧]،

(٢٠٦) المواهب اللدنية بشرح الزرقاني ج ٥ ص ٢٩٩.

(٢٠٧) تحفة الزائر في تاريخ الجزائر ج ١ ص ٣٠٢.

والمضاوي نسبة إلى حصن «عين ماضي»(٢٠٨).

وذكرت بعض المصادر أن أصله من أشراف المغرب(٢٠٩) وزعم هو – كما في جواهر المعاني – أنه سأل النبي ﷺ، يقظة لا مناماً للتأكد، فأجابه أن نسبه إلى الحسن بن علي صحيح(٢١٠).

وكان مولده سنة: ١١٥٠ بقرية عين ماضي، موطن أسرته، وأمه عائشة بنت محمدو من بني تجين، وحفظ القرآن في صغره على يد الشيخ محمد التجاني(٢١١) وقرأ بعض المختصرات الفقهية على الشيخ المبروك بعافية المضاوي التجاني(٢١٢) ثم مال إلى طريق التصوف فاعتنق عدة طرق قبل أن يستقل بطريقته المعروفة.

رحل إلى فاس سنة: ١١٧٠ هجرية ولقي فيها الطيب بن محمد اليملحي(٢١٣) وأخذ منه طريقته الصوفية، وأذن له في تلقينها ثم أخذ طريق عبدالقادر الجيلاني على يد من كان يلقن طريقته في ذلك الوقت، ثم أخذ الطريقة الناصرية(٢١٤) ثم تركها بعد حين، ثم طريق أحمد الحبيب(٢١٥) ثم تركها بعد مدة، ثم طريق أحمد الطواشي(٢١٦).

---

(٢٠٨) قرية معروفة من قرى الصحراء الشرقية من بلاد المغرب وهي الآن تقع في الجزائر انظر بغية المستفيد ١٣٧.

(٢٠٩) تحفة الزائر ج ١ ص ٣٠٣.

(٢١٠) جواهر المعاني ج ١ ص ٣٠ – ٣١.

(٢١١) محمد بن حمو التجاني، المتوفى سنة ١١٦٢ للهجرة.

(٢١٢) انظر ميزان الرحمة الرباني ج ١ ص ٢٦ – ٢٧.

(٢١٣) هو الطيب بن محمد اليملحي العلمي، توفى بوزان من بلاد مصمودة سنة ١١٨٠ للهجرة. انظر: التجانية لعلي بن محمد الدخيل الله ص ٤٤.

(٢١٤) أخذ أحمد التجاني الطريقة الناصرية على يد محمد بن عبدالله التزاني.

(٢١٥) هو أحمد الحبيب بن محمد، الملقب بالغماري السجلماسي، المتوفى سنة ١١٦٥ للهجرة. انظر جواهر المعاني ج ١ ص ٤٤ – ٤٥.

(٢١٦) هو أحمد الطواش نزيل تازي، توفى في نهاية ١٢٠٤ للهجر. انظر المرجع السابق ص ٤٥.

ثم انتقل من المغرب إلى جهة الصحراء قاصداً زاوية عبدالقادر بن محمد الأبيض، ثم انتقل منها إلى تلمسان سافر إلى الحج ومر بمحمود الكردي(٢١٧) فأخذ عنه الطريقة الخلوتية.

وأخذ الطريقة الخلوتية(٢١٨) مرة أخرى عن عبدالله محمد بن عبدالرحمن الأزهري، ثم عاد إلى تلمسان، سنة: ١١٨٨ للهجرة، وفي سنة: ١١٩١ للهجرة سافر إلى فاس لزيارة قبر إدريس، وفي الطريق التقى بخليفته علي حرازم جامع كتاب جواهر المعاني في مدينة وجدة.

ولما وصل إلى فاس أقام بها برهة من الزمن، ثم عاد إلى تلمسان فأقام بها مدة ثم طرد منها، فرحل ونزل بقرية أبي سمغون(٢١٩).

وفي سنة: ١٢١٣ للهجرة طرد منها إلى فاس، ويرجع صاحب كتاب الترجمان المعرب، عن دول المشرق والمغرب(٢٢٠) سبب طرده من تلمسان إلى تدبييره الفضة وتدليسه على الناس(٢٢١).

وأثبت الناصري في الاستقصاء الطرد المذكور وأرجعه لشيء بلغ الحاكم

(٢١٧) هو محمد الكردي المصري، أصله من العراق ولد ونشأ فيها، ثم سافر إلى مصر وسكن بها، توفى سنة ١٢٠٨ للهجرة، انظر بغية المستفيد ١٦٣.

(٢١٨) الخلوتية: نسبة للشيخ محمد الخلوتي، وتنتهي هذه الطريقة إلى قطب الدين أحمد بن محمد، وهي مبنية على الذكر بلا إله إلا الله، بكيفية مخصوصة ومن المنتسبين لها من المشهورين: الصاوي أحمد بن محمد المتوفى سنة ١٢٤١ للهجرة، صاحب الحاشية على تفسير الجلالين. انظر: الأعلام للزركلي ج ١ ص ٢٤٦، والتجانية لعلي محمد الدخيل الله ص ٣٣.

(٢١٩) أبي سمغون: قصر معروف بالصحراء الشرقية، به قبر الشيخ أبي سمغون وبه سمي القصر. انظر بغية المستفيد ١٧٢.

(٢٢٠) صاحب كتاب الترجمان، هو: أبو القاسم بن أحمد بن علي إبراهيم، مؤرخ مغربي، ولد بفاس سنة ١١٤٧ للهجرة وتوفى بها سنة ١٢٤٩. انظر الأعلام للزركلي ج ٦ ص ٦.

(٢٢١) الترجمانة الكبرى ج ١ ص ٤٦٠ - ٤٦١.

عثمان بن محمد عنه[222].

وفي يوم الخميس السابع عشر من شوال سنة ١٢٣٠ للهجرة توفي، وكان عمره ثمانين سنة وخلف ولدين، هما: محمد الملقب بالكبير ومحمد الملقب بالحبيب[223].

ومن أهم الآثار التي خلفها: زاويته المشهورة بفاس، والتي ظلت مركزاً للتجانية يتوافدون عليها من شتى أنحاء العالم، ومكاناً لتجديد بدعتهم وبثها في قلوب الناس، كما أن من أهم آثاره - كتاب جواهر المعاني - الذي جمعه تلميذه وخليفته علي بن العربي برادة «علي حرازم» والذي يعتبر المرجع الأول للتجانية.

---

(٢٢٢) هو أحمد بن خالد الناصري الدرعي، ولد بسلا سنة ١٢٥٠ للهجرة وتوفى بها سنة ١٣١٥ للهجرة. من مؤلفاته: كتاب الاستقصاء، وزهر الأفنان شرح قصيدة ابن الونان، انظر الأعلام للزركلي ج ١ ص ١١٨.

(٢٢٣) كشف الحجاب ١٤ - ١٥ - ١٨ - ٦٥، وانظر الأعلام للزركلي ج ١ ص ٢٣٢. وبغية المستفيد ٢٠١.

المؤلف في سطور(*)

هو إبراهم القطان الأردني أحد أعلام القرن الرابع عشر ومن أبرز تلامذة ابن مايابي الجكني الشنقيطي، ولد في عمَّان سنة ١٣٣٥هـ وأنهى دراسته الإبتدائية فيها، ثم انتسب إلى الأزهر وتخرج من قسم تخصص القضاء الشرعي، وحصل على شهادة العالمية وتخصص القضاء، ثم عمل في القضاء الشرعي مدة ومنه انتقل إلى وزارة المعارف مفتشاً للغة العربية والدين، شغل عدة مناصب أهمها منصب وزير التربية والتعليم وقاضي القضاة وظل في منصب قاضي القضاة بالأردن حتى توفي.

شارك في أكثر من ثلاثين كتاباً مدرسياً في الدين واللغة العربية وكان عضواً في مجمع اللغة العربية، ألف عدة مؤلفات منها تيسير التفسير، وعثرات المنجد في الأدب والعلوم والأعلام، والبدع في الإسلام، والمختصر في بدع التجانية الذي أقوم بالتقديم له، توفي سنة ١٤٠٤هـ.

(*) تتمة الأعلام للزركلي ج ١ ص ١٩ محمد خير رمضان.

بسم الله الرحمن الرحيم

كتاب إعلام المسلمين

ببعض مقالات التجانيين

« هذا ما جمعناه من مفتريات التجاني، منسوباً كل مقال فيه إلى الكتاب الذي أخذ منه، مع الإشارة إلى رقم الصحيفة المسطور فيها؛ لينظره كل مسلم له عقل ودين، حتى يتبين للناس ما أذاعه هذا الرجل من الضلال، فجميع ما هو مسطور إما كفر صريح، وإما كذب عليه ﷺ، وإما تنقيص للقرآن العظيم، أو تنقيص له ﷺ أو لأصحابه، وإما إبطال للشريعة وإظهار لتفاهتها وتزهيد للناس فيها، فأوله وهو أشده: نسبته الكتمان له ﷺ.

قال في « جواهر المعاني »: إن هذا الورد ادخره لي عليه الصلاة والسلام، ولم يعلمه لأحد من أصحابه(٢٢٤).

هذا فيه نسبة الكتمان له عليه الصلاة والسلام، لما قال هو إن فيه من الأجر ما لم يكن في كتاب الله، ونسبة الكتمان له كفر بإجماع(٢٢٥).

(٢٢٤) جواهر المعاني لعلي حرازم ج ١ ص ١٤١.

(٢٢٥) أجمع المسلمون على أن الرسول عليه الصلاة والسلام قد بلغ رسالة ربه ولم يكتم منها حرفاً واحداً، قال الرازي: أجمع المسلمون على أنه لا يجوز على الرسول ﷺ أن يخون في الوحي والتنزيل وأن يترك بعض ما يوحي إليه، لأن تجويزه يؤدي إلى الشك في كل الشرائع والتكاليف، وذلك يقدح في النبوة، وأيضا فالمقصود من الرسالة تبليغ تكاليف الله تعالى وأحكامه، فإذا لم تحصل هذه الفائدة فقد خرجت الرسالة عن أن تفيد فائدتها المطلوبة منها. انظر: التفسير الكبير للرازي ج ١٧ ص ١٩٣. وقال ابن حزم في كتاب الفصل في الملل والأهواء والنحل: اعلموا أن رسول الله ﷺ لم يكتم من الشريعة كلمة فما فوقها، ولا أطلع أخص الناس من زوجة أو ابنة أو ابنة عم أو ابن عم أو صاحب على شيء من الشريعة كتمه عن الأحمر والأسود ورعاة الغنم، ولا=

قال في جواهر المعاني صحيفة ١١٩ : سألت شيخنا هل كان سيد الوجود ﷺ عالماً بهذا الفضل؟ أي: فضل صلاة الفاتح المتأخر وقته، قال: نعم، هو عالم به، قلت: ولم لم يذكره لأصحابه رضوان الله عليهم أجمعين؟ قال: لعلمه ﷺ بتأخير وقته، وعدم وجود من يظهره الله على يديه في ذلك الوقت.

« وهذا أيضاً في كتابهم الجيش صحيفة ٩١ . **انظر لما في هذا من نسبة الكتمان للنبي ﷺ وتفضيله هو وأتباعه على أبي بكر وعمر، لقدرة أصحاب التجاني على حمل ما عجز الصحابة عنه**(٢٢٦) .

= كان له عليه السلام سر ولا رمز ولا باطن غير ما دعا الناس كلهم إليه. ولو كتم لما بلغ كما أمر، ومن قال هذا فهو كافر، فإياكم وكل قول لم يبين سبيله ولا وضح دليله، ولا تعوجوا عما مضى عليه نبيكم ﷺ وأصحابه رضي الله عنهم. الفصل في الملل ج ٢ ص ١١٦. ونقل الإجماع على ذلك أيضاً القاضي عياض في الشفا والقسطلاني في المواهب اللدنية. والآيات القرآنية والأحاديث النبوية الدالة على أن الرسول بلغ الرسالة وأدى الأمانة ونصح الأمة ولم يكتم شيئاً مما أوحاه الله إليه كثيرة جدا، فمن الآيات: (يا أيها الرسول بلغ ما أنزل إليك من ربك وإن لم تفعل فما بلغت رسالته والله يعصمك من الناس)، سورة المائدة ٦٧. وقوله سبحانه: (اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الإسلام دينا) سورة المائدة ٣، وقوله: (فإن توليتم فإنما على رسولنا البلاغ المبين) سورة التغابن ١٢. ومن السنة: حديث عائشة: «من حدثك أن محمدا ﷺ كتم شيئاً مما أنزل عليه فقد كذب، والله يقول (أيها الرسول بلغ ما أنزل إليك) الآية. سورة المائدة ٦٧ وفي رواية مسلم ولو كان محمدٌ كاتماً شيئا مما أنزل عليه لكتم هذه الآية: (وإذ تقول للذي أنعم الله عليه وأنعمت عليه أمسك عليك زوجك واتق الله وتخفي في نفسك ما الله مبديه وتخشى الناس والله أحق أن تخشاه) سورة الأحزاب ٣٧، صحيح مسلم بشرح النووي ج ٣ ص ١٠، فهذه الأدلة من الكتاب والسنة والإجماع تسد الطريق أمام دعاوى التجانية وغيرهم، وقد مر بك حكم علماء أهل السنة على المخالف لمضمونها، وهو الكفر. المشتهى ص ٤٢.

(٢٢٦) لقد صرح صاحب منظومة منية المريد بتفضيل شيخه أحمد التجاني صراحة على جميع الأولياء حيث قال:

الحمد للجاعل الأولياء ورثة الكمل الأنبياء
والجاعل النبي خير الأنبياء وشيخنا أحمد خير الأولياء

والأولياء من أمة محمد ﷺ أفضلهم العشرة المبشرون بالجنة، والعشرة أفضلهم الصديق ثم عمر ومذهب أهل السنة أن من فضل علياً رضي الله عنه على أبي بكر فهو مبتدع، فما رأيكم في من فضل أحمد التجاني ضمنا على الصحابة كلهم. انظر: شرح الفقه الأكبر للإمام أبي حنيفة لملا علي القاري في الكلام على من فضل عليا وعثمان على الشيخين ص ١٧٨.

وقال في الجيش، صحيفة ١٦٤): وأما من تركه - يعني الورد - تركاً كلياً أو متهاوناً به، فإنه تحل عليه عقوبة، ويأتيه الهلاك، وتصب عليه مصائب الدنيا والآخرة، لا يقدر له أحد على شيء، هكذا ذكره الشيخ، وقال: إن النبي ﷺ أخبره بذلك.

هذا إنما هو كذب عليه ﷺ، وقد جعل ترك هذا الورد أشد من ترك جميع العبادات مع أن هذا لم يرد في ترك فرض من العبادات[٢٢٧].

وقال في «جواهر المعاني» صحيفة: ٤٥ وفي «كتاب الإفادة الأحمدية» صحيفة: ٢٠ أمرني ﷺ بجمع كتاب «جواهر المعاني» وقال لي كتابي هو وأنا ألفته بعدما كنت أمرت بتمزيقه ومزق.

هذا فيه تعمد الكذب عليه ﷺ قاصداً الدخول في حديث «من كذب على متعمدا فليتبوأ مقعده من النار[٢٢٨].

(٢٢٧) رؤية النبي ﷺ بعد وفاته يقظة لا دليل عليها من كتاب ولا سنة، ولم تقع لأحد من الصحابة ولا التابعين لهم بإحسان. قال القسطلاني في المواهب اللدنية: وأما رؤيته ﷺ في اليقظة بعد موته عليه الصلاة والسلام فقال شيخنا السخاوي: لم يصل إلينا ذلك عن أحد من الصحابة ولا عمن بعدهم، وقد اشتد حزن فاطمة رضي الله عنها عليه ﷺ حتى ماتت كمدا بعده بستة أشهر على الصحيح وبيتها مجاور لضريحه الشريف، ولم ينقل عنها رؤيته في المدة التي تأخرتها عنه. وقد حمل محققو علماء أهل السنة جملة «فسيراني في اليقظة» الواردة في الحديث الصحيح على غير الرؤية البصرية، لعدم وجود دليل عليها، ولعدم وقوعها للصحابة والتابعين. قال ابن حجر عند الحديث المذكور: هذا مشكل جدا، ولو حمل على ظاهره لكان هؤلاء صحابة، ولأمكن بقاء الصحبة إلى يوم القيامة، ويعكر عليه أن جمعاً جماً رأوه في المنام، ثم لم يذكر واحد منهم أنه رآه في اليقظة، وخبر الصادق لا يتخلف. الفتح ج ١٦ ص ١٩٠. وقد اشتد إنكار القرطبي على من يدعى إمكان رؤية النبي ﷺ بعد وفاته يقظة، وقال: إنها جهالات لا يلتزم بها من له أدنى مسكة من معقول، والملتزم بذلك مختل مخبول. وقد تقدم كلامه بتمامه.

(٢٢٨) حديث: من كذب عليّ متعمداً... حديث متواتر، مثل به أكثر من واحد للحديث المتواتر. وانظر: البخاري مع الفتح ج ١ ص ٣٧٩ وتعمد الكذب على النبي ﷺ كفر عند بعض العلماء، أما تعمد الكذب على الله فهو كفر اتفاقا. لقوله تعالى: (ولو تقول علينا بعض الأقاويل لأخذنا منه باليمين ثم لقطعنا منه الوتين) الحاقة ٤٤-٤٦. وقد ذهب عامة المفسرين لقوله تعالى: (فمن أظلم ممن=

وقال في جواهر المعاني صحيفة ١٠٤ : إن من أراد الدخول في طريقنا لا خوف عليه من صاحبه ولا من غيره أيا كان من الأولياء الأحياء والأموات في الدنيا والآخرة، وهو آمن من كل ضرر يلحقه في الدنيا والآخرة، لا من شيخه ولا من غيره، ولا من الله ورسوله ﷺ .

فلينظر هذا هل يقول كافر : إن أحداً يأمن مكر الله ولا يخاف منه ؟! ولكن أراد الدخول في قوله تعالى : ﴿فلا يأمن مكر الله إلا القوم الخاسرون﴾(٢٢٩) .

وقال في الجواهر أيضاً صحيفة ١٠٥ : لا تقرأ (جوهرة الكمال) إلا بالطهارة المائية، لا بالترابية، لأن النبي ﷺ يحضر عند قراءتها .

وهذا مما تقدم من الكذب عليه، عليه الصلاة والسلام، وفيه من المغالاة والكذب ما يدل على أنها أفضل من القرآن ومن الصلوات الفرضية، لأن كلا من ذلك يؤدي بالتيمم(٢٣٠) .

=افترى على الله كذبا ليضل الناس بغير علم) الأنعام ١٤٤ إلى شمول الآية لكل من نسب إلى الله تعالى شيئاً لم يكن في شريعته، سواء نسبه إليه بادعاء وحي أو غيره، مثل ما فعله أحمد التجاني تماما في نسبة جميع ما صدر من شريعته المخترعة إلى الله تعالى طوراً بواسطة الرسول ﷺ يقظة، وطورا بدون واسطة.

(٢٢٩) سورة الأعراف ٩٩، وفي البخاري، قال ابن أبي مليكه : أدركت ثلاثين من أصحاب النبي ﷺ كلهم يخاف النفاق على نفسه... ويذكر عن الحسن : ما خافه إلا مؤمن ولا أمنه إلا منافق... قال ابن حجر : هذا التعليق وصله جعفر الفريابي في كتاب صفة المنافق له من طرق متعددة بألفاظ مختلفة، وللنووي في شرحه : ما خافه إلا مؤمن ولا أمنه إلا منافق – يعني الله تعالى –. قال الله تعالى : (ولمن خاف مقام ربه جنتان) الرحمن ٤٦ وقال : (فلا يأمن مكر الله إلا القوم الخاسرون) الأعراف ٩٩، البخاري مع الفتح ج... ص ٢١١ – ٢٢٤ . وعن ابن عباس رضي الله عنهما أن رسول اللهً سئل عن الكبائر، فقال الشرك بالله، واليأس من روح الله، والأمن من مكر الله. وعن ابن مسعود رضي الله عنه قال : أكبر الكبائر الإشراك بالله، والأمن من مكر الله، والقنوط من رحمة الله، واليأس من روح الله، رواه عبدالرزاق.

(٢٣٠) جاء الحديث الصحيح أن النبي ﷺ كان يذكر الله في كل أحيانه، وأجمع علماء الأمة الإسلامية على=

وقال في صحيفة ١١٤ : إن المرة الواحدة من صلاة الفاتح تعدل من كل تسبيح وقع في الكون، ومن كل ذكر ومن كل دعاء كبير أو صغير، ومن القرآن ستة آلاف مرة لأنه من الأذكار.

هذا من أشد كفره وردته، فالقرآن كلام الله، وفضل كلام الله علي كلام الخلق كفضل الله علي خلقه، وفي هذا من تنقيص القرآن وتزهيد الناس فيه بحيث لا يلتفت إليه ما لا يخفي، فكيف يقرؤه أحد على هذا مع وجود هذه الصلاة المخترعة، فقصده إبطال التعبد بالقرآن، لا حقق الله قصده.

فلينظر العاقل هذا الافتراء والتحديد، وتفضيل هذه الصلاة المختلقة على الذكر الشامل للقرآن، وعلى ما ورد عنه عليه الصلاة والسلام من جميع الأذكار النبوية(٢٣١).

=جواز ذكر الله بالقرآن وغيره من الأذكار الثابتة في السنة بغير وضوء ولا تيمم إذا كان المسلم غير جنب، ويجوز ذكر الله – بغير القرآن – للجنب وغير الجنب، قال البخاري: باب قراءة القرآن بعد الحدث وغيره ج ١ ص ٥٣١، فاشتراط الطهارة المائية وغيرها لهذا الذكر المبتدع من طمس البصيرة يقينا.

(٢٣١) ذهب أهل السنة والجماعة إلى أن القرآن كلام الله نزل به جبريل عليه السلام على محمد ﷺ بلسان عربي مبين المتبعد بتلاوته، منه بدأ وإليه يعود، ليس بمخلوق، ولا يشبه كلام المخلوقين، وفضل القرآن على غيره من سائر الكلام كفضل الله على خلقه. شرح الطحاوية لابن أبي العز ١٧٩، ٣٥٢، ٢٥٤.
يقول أحد العلماء في رده على التجاني في شأن صلاة الفاتح: ومن العجب أن يتصور التجاني هذا القول وأن ينطق به لسانه مع معرفته أنه كذب على رسول الله ﷺ، وقد قال جمع من العلماء: من أعتقد حل الكذب على النبي ﷺ فقد كفر، كما في فتح الباري ج ١ ص ٣٨٤. وقد قال النبي ﷺ: من تعمد على كذباً فليتبوأ مقعده من النار. البخاري مع الفتح ج ١ ص ٣٨٠. وعلى كل؛ فالتجاني ليس هو أول من تعمد الكذب على الله ورسوله ممن ينتسبون للإسلام، فقد سبقه في الكذب على الله المختار بن أبي عبيد الثقفي وتبعه جمع غفير من الناس، والحارث الدمشقي وله أتباع، وابن عربي الطائي وله أتباع كثيرون، وجاء بعده أحمد القادياني وله أتباع كذلك. فالشيطان غرور، والنفس أمارة بالسوء، وحب الزعامة يعمي ويصم، وأكثر الناس همج رعاع أتباع كل ناعق. نسأل الله السلامة والعافية. ففضل القرآن على سائر كلام البشر أمر معلوم من الدين بالضرورة. فقد أجمع العلماء على كفر من زعم أن شيئاً من كلام البشر أفضل من القرآن. انظر: مشتهى الخارف ص ٢٦٣. وكذلك من سوى بين كلام الخالق وكلام المخلوق لما جاء في الحديث: «فضل القرآن على سائر الكلام كفضل الرحمن على سائر خلقه»، صحيح الجامع الصغير للسيوطي ج ٢ ص ٧٥ وللترمذي:... وفضل كلام الله على سائر الكلام كفضل الله على خلقه». الترمذي مع تحفة الأحوذي ٨/ ٢٤٤ – ٢٤٥.

وقال في الجواهر أيضاً صحيفة ١٥٤ : إذا ثابر على الصلاة عليه ﷺ لو أتاه بذنوب أهل الأرض كلها من أول وجود العالم إلى آخره أضعافاً مضاعفة لأدخلها كلها سبحانه في بحر عفوه وفضله.

هذا لم يرد في حديث، فالصلاة عليه ﷺ كسائرَ الأذكار فيها من الفضل ما في غيرها من الأذكار، ويا ليته لم ينتقص القرآن، ولم يفعل هذه المغالاة في الصلاة.

وقال في جواهر المعاني صحيفة ١٦٤ : بأن بعض أحوال الرحمة في أهل النار من الكفار أنهم يغمى عليهم في بعض الأوقات، فيكونون كالنائم لا يحسون بأليم العذاب، ثم تحضر بين أيديهم أنواع الثمار والمآكل، فيأكلون في غاية أغراضهم، ثم يفيقون من تلك السكرة، فيرجعون إلى العذاب، فهذا من جملة الرحمة التي تنال الكفار.

فانظروا يا أمة محمد ﷺ ما في هذا من الكفر الصريح المكذب للقرآن العزيز، بجعل رحمة الله تنال الكفار في الآخرة، وقد قال تعالى: ﴿والذين كفروا بآيات الله ولقائه أولئك يئسوا من رحمتي﴾(٢٣٢)، وقال تعالى: ﴿كما يئس الكفار من أصحاب القبور﴾(٢٣٣).

(٢٣٢) سورة العنكبوت ٢٣.

(٢٣٣) الممتحنة ١٣. ومكذب لقوله تعالى: خالدين فيها لا يخفف عنهم العذاب) البقرة ١٦٢. ولم يرد في تخفيف عذاب أهل النار من الكفار حديث يصح فيما أذكر إلا في شأن أبي طالب، وقد زعم الجهم بن صفوان أن النار تفنى وينقطع عن أهلها العذاب. وللضال الآخر ابن عربي الطائي، أن النار تكون عذوبة لأصحابها وهذه أقوال ضالة تخالف الكتاب والسنة وما عليه سلف الأمة. قال شارح الطحاوية في ذكر هذا القول:... والثاني أن أهلها – يعني النار – يعذبون فيها، ثم تنقلب طبيعتهم وتبقى طبيعة «نارية» يتلذذون بها لموافقتها لطبيعتهم، وهذا قول إمام الاتحادية ابن عربي الطائي. شرح الطحاوية لابن أبي العز ص ٤٢٧.

وقال في الجواهر صحيفة ١٦٥ : : (تنبيه وبيان) في الاستدلال على أن الكفار محبوبون مرحومون عند الله تعالى .

هذا أيضاً قصد به الكفر والعناد لمخالفة القرآن العظيم، لقوله تعالى : ﴿ فإن الله لا يحب الكافرين ﴾(٢٣٤)، وقوله : ﴿ إنه لا يحب الظالمين ﴾(٢٣٥).

وقال في صحيفة ٢١٧ : وأما معية الذات – يعني ذات الله سبحانه وتعالى – فلا تختص بنصر ولا عصمة، فهو مع كل شيء، على أي حال كان ذلك الشيء؟ .

هذا من ضلالاته الموجبة لتعدد الله تعالى، وكونه حالا في كل مكان، وهو كفر بالإجماع(٢٣٦).

---

(٢٣٤) آل عمران ٣٢ .

(٢٣٥) الشورى ٤٠ . والقول بأن الكفار محبوبون ومرحومون لا يقوله على وجه الحقيقة إلا من لا يؤمن بكتاب الله، وهو قول خبيث سبقه إليه سلفه ابن عربي الحلولي وقرره في كتابه الفصوص ص ١٠٦، ١٠٨، ١٠٩ . واعتقاد أن الكفار مرحومون ومحبوبون تكذيب لدين الإسلام برمته .

(٢٣٦) قرر التجانيون عقيدة الحلول والاتحاد في كثير من كتبهم، وقد سبق ذكر ذلك . وعقيدة الحلول والاتحاد عقيدة نصرانية قديمة، وأول من تجرأ على إظهارها في الإسلام، الحسين بن منصور الحلاج فقتل بسيف الشرع سنة ٣٠٩ للهجرة ومذهب أهل السنة والجماعة أن الله جل وعلا بائن من خلقه لا يشبهه شيء من مخلوقاته، متصف بصفات الكمال، له الأسماء الحسنى والصفات العلى، (ليس كمثله شيء وهو السميع البصير) الشورى ١١، فهو المتفرد بالجلال، المتصف بصفات الكمال، المنزه عن النقائص والعيوب . فمن اعتقد أن الله متحد بمخلوقاته وأن العبد عين الرب والرب عين العبد – كما يقول ابن عربي وابن الفارض ومن سار على نهجهم – فقد كفر بما أنزل على محمد ﷺ وخالف الفطر والشرائع، فقد قال الله تعالى في النصارى القائلين باتحاد الله مع عيسى عليه السلام : (لقد كفر الذين قالوا إن الله هو المسيح ابن مري) المائدة ١٧ . وللقاضي عياض كلام جميل ذكر فيه الإجماع على كفر من ادعى مجالسة الله والعروج إليه ومكالمته وحلوله في أحد من الأشخاص، كقول بعض المتصوفة والباطنية والنصارى والقرامطة . الشفا ج ٢ ص ٢٤٥ . وقال الماوردي : القائل بالحلول والاتحاد ليس من المسلمين بالشريعة، بل في الظاهر والتسمية، ولا ينفع التنزيه مع القول بالاتحاد والحلول؛ فإن دعوي التنزيه مع ذلك إلحاد .=

وقال في الجواهر صحيفة ٢٢٠ : إن الكفار والمجرمين والفجرة والظلمة ممتثلون لأمر الله، ليسوا بخارجين عن أمره.

فانظر هذا الكلام هل يصدر من عاقل؟ ففيه التصريح بأن كفرهم اتباع لأمر الله، فما كفروا إلا اتباعاً لأوامره، والله يقول: ﴿إن الله لا يأمر بالفحشاء﴾(٢٣٧)، ويقول: ﴿ولا يرضى لعباده الكفر﴾(٢٣٨).

وقال في صحيفة ٢٢٩ : وأما ولد الزنا لا حسنة له أصلاً، ولا دخول له للجنة أصلاً، ولو فعل ما فعل، لأنه لم يتكون من نكاح شرعي، إلا إن صحب أحد مفاتيح الكنوز.

=الحاوي ج ٢ ص ٢٤٠. ولشيخ الإسلام ابن تيمية في حكم من قال بالحلول والاتحاد: فهذا كله كفر باطناً وظاهراً بإجماع كل مسلم، ومن شك في كفر هؤلاء بعد معرفته قولهم ومعرفة دين الإسلام فهو كافر، كمن يشك في كفر اليهود والنصارى والمشركين. الفتاوى ج ٢ ص ٣٦٨. وفي موضع آخر يقول: وأقوال هؤلاء شر من أقوال اليهود والنصارى وفرعون، ومن عرف معناها واعتقدها كان من المنافقين الذين أمر الله بجهادهم، يقول تعالى: (جاهد الكفار والمنافقين واغلظ عليهم) التحريم ٩. والنفاق إذا عظم كان صاحبه شراً من كفار أهل الكتاب، وكان في الدرك الأسفل من النار. الفتاوى ج ٢ ص ٣٦٠ – ٣٩٥.

(٢٣٧) الأعراف ٢٨.

(٢٣٨) الزمر ٧. ولسلفه ابن عربي في كتاب الفصوص في شأن الكفار: ... وكانوا في السعي في أعمالهم على صراط الرب المستقيم لأن نواصيهم كانت بيد من له هذه الصفة، فما مشوا بنفوسهم وإنما مشوا بحكم الجبر... إلى أن يقول: ومن هنا تعلم أن كل حكم ينفذ اليوم في العالم أنه حكم الله، وإن خالف الحكم المقرر في الظاهر المسمى شرعاً، إذ لا ينفذ حكم إلا لله في نفس الأمر؛ لأن الأمر الواقع في العالم إنما هو على حكم المشيئة. الفصوص ص ١٥٦. وهذا الفهم لا شك أنه ناتج عن عدم التوفيق لفهم مسألة القضاء والقدر. وقد ذم الله الكفار حيث جعلوا الشرك كائناً منهم بمشيئة الله، فقال جل وعلا: (سيقول الذين أشركوا لو شاء الله ما أشركنا ولا آباؤنا) الأنعام ١٤٨، (وقالوا لو شاء الرحمن ما عبدناهم) الزخرف ٢٠، والذي عليه أهل السنة في مسألة القضاء والقدر: أن الله وإن كان يريد المعاصي قدراً فهو لا يحبها ولا يرضاها ولا يأمر بها، بل يبغضها ويسخطها ويكرهها وينهى عنها. وهذا هو قول السلف قاطبة. ويقولون: الإرادة في كتاب الله نوعان: إرادة كونية قدرية خلقية، وإرادة دينية أمرية شرعية؛ فالإرادة الشرعية هي المتضمنة للمحبة والرضى، والكونية هي المشيئة الشاملة لجميع الحوادث شرح الطحاوية لابن أبي العز ص ٦٨، ٦٩، ١٠٤.

هذا كـذب، ولد الزنـا مـا عليـه ذنـب في فـعل أبويـه، وأبواه لو تـابا لقبلت توبتهما، وإن لم يتوبا كانا تحت المشيئة(٢٣٩).

وقال في صحيفة ٢٣٢: إن غير النبي قد يكون عنده علم أزيد من النبي.

هذا كذب وتنقيص للأنبياء عليهم الصلاة والسلام، والخضر الصحيح أنه نبي(٢٤٠).

وليس عنده علم أزيد من موسى عليه السلام كما صرح هو به في الحديث: «أنا على علم من ربي لا تعلمه أنت، وأنت على علم من ربك لا أعلمه»(٢٤١).

وقال في الإفادة الأحمدية صحيفة ٤٠: طريقتنا تنسخ جميع الطرق

---

(٢٣٩) اعتقاد أن ولد الزنا لا حسنة له ولا يدخل الجنة إلا إذا صحب شيخاً من شيوخ الصوفية خرافة تافهة ومخالفة لمبادئ الإسلام، ولعل الغرض من اختلاقها الحصول على متابعة أبناء الزنا لطريقتهم، والله أعلم.

(٢٤٠) لا شك في وجود خلال في شأن الخضر هل هو نبي أم عبد صالح، لكن لا شك عند أهل السنة أن ما فعله الخضر إنما فعله عن وحي حقيقي من الله، لقوله تعالى في شأن الخضر: (وما فعلته عن أمري...) الكهف ٨٢، فلم يفعل إلا عن أمر الله الصادق ووحيه القطعي، ومثل هذا الأمر والوحي القطعي قد انقطع بوفاة الرسول صلى الله عليه وسلم فلا وحي بعده، ومن ادعى شيئاً من ذلك فقد كفر لمخالفة القرآن: (ما كان محمد أبا أحد من رجالكم ولكن رسول الله وخاتم النبيين) الأحزاب ٤٠، وقال الرسول صلى الله عليه وسلم: «... وختم بي النبيون فلا نبي بعدي». مسلم رقم: ٥٢٣، ٢٢٨٦.

(٢٤١) ... اعتقاد أن غير النبي قد يكون عنده علم أكثر من النبي عقيدة صوفية فاسدة قديمة، قال ابن الجوزي في تلبيس إبليس: شهد قوم علي أحمد أبي الحواري أنه يفضل الأولياء على الأنبياء، فهرب من دمشق إلى مكة. تلبيس إبليس ص ١٨٩. ومن كلام البسطامي: تالله إن لوائي أعظم من لواء محمد. لطائف المنن للشعراني ص ١٢٥. وقال أيضاً: لي معراج كما كان للنبي صلى الله عليه وسلم معراج. فأخرجوه من بسطام. تلبيس إبليس ص ١٩٠. وقال: خضنا بحراً وقف الأنبياء بساحله. الفكر الصوفي ص ٥٨، وجواهر المعاني ج ٢ ص ٦٣. يقول شيخ الإسلام ابن تيمية: ... فصاحب الفصوص وأمثاله، بنوا الأمر على أن الولي يأخذ عن الله بلا واسطة، والنبي يأخذ =

وتبطلها، ولا تدخل طريق على طريقنا. **هذا كذب وزور، والنسخ قد انقضى بانقضاء الوحي، فلا نسخ بعده، والطرق إن كانت أذكارا كيف تنسخ؟ والأذكار محكمة عن الشارع حقاً، فلا تنسخ بمقال شارع كاذب**(٢٤٢).

وقال في الإفادة الأحمدية صحيفة ٤٠: طائفة من أصحابنا لو اجتمع أكابر أقطاب هذه الأمة ما وزنوا شعرة من أحدهم، وهو في بغية المستفيد في شرح منية المريد صحيفة ١٧٢:

طائفة من صحبه لو اجتمع — أقطاب أمة النبي المتبع

ما وزنوا شعرة من فرد — منها فكيف بالإمام الفرد

انظر تفضيل هذا الفاجر لأصحابه على أصحاب النبي ﷺ، وقال

= بواسطة الملك، فلهذا صار خاتم الأولياء - في زعمهم - أفضل عندهم من هذه الجهة. رسالة حقيقة مذهب الاتحاديين ص ٦٤. ولابن عربي الحلولي:

مقام النبوة في برزخ — فويق الرسول ودون الولي

ولشيخ الإسلام بن تيمية أيضاً في بدعة القول بختم الولاية: ... ثم إن هذا خاتم الأولياء صار مرتبة موهومة لا حقيقة لها وصار يدعيها لنفسه أو لشيخه طوائف، وقد ادعاها غير واحد، ولم يدعها إلا من في كلامه من الباطل ما لم تقله اليهود ولا النصاري، كما ادعاها صاحب الفصوص. حقيقة مذهب الاتحاديين لابن تيمية ص ٦٣. وأول من قال بأن للأولياء خاتما وأنه هو أفضل الأولياء، الحكيم الترمذي؛ فنفي من ترمذ وشهدوا عليه بالكفر بسبب تأليفه لكتاب الختم. نفس المصدر السابق ص ٧٩ وما بعدها. وقال في موضع آخر: وقولهم خاتم الأولياء لفظ باطل لا أصل له، وأول من ذكره محمد بن علي الترمذي، وقد انتحله طائفة كل منهم يدعى أنه خاتم الأولياء، كابن حموي وابن عربي وبعض الشيوخ الضالين بدمشق وغيرها، وكل منهم يدعي أنه أفضل من النبي من بعض الوجوه، إلى غير ذلك من الكفر والبهتان الفتاوى ج ١١ ص ٤٤٤.

(٢٤٢) وللشعراني: من أشرك بشيخه شيخاً آخر وقع في الشرك بالله. قواعد الصوفية ص ١٥٤، وهذا القول متأثر بقول الإسماعيلية؛ إذ يقولون إن من أشرك مع إمامه سلطة أخرى، أو ارتاب في وجوب الطاعة له كان كمن أضاف إلى النبي نبياً آخر، وكمن شك في نبوته، وبذا صار كمن وضع مع الله إلها آخر. العقيدة والشريعة لجولد ص ٢١٨.

عليه الصلاة والسلام: «إن أبا بكر وزنت به الأمة فرجحها ووزنت بعمر فرجحها»[٢٤٣].

وقال في الإفادة الأحمدية صحيفة ٤٠: كل الشيوخ أخذوا عني من عصر الصحابة إلى النفخ في الصور.

وهذا أيضاً في بغية المستفيد صحيفة ١٦٨ مع زيادات كثيرة.

انظر إلى هذا المشرع الذي أخذ عنه قبل وجوده باثني عشر قرناً، خاصية له لم تحصل لرسول[٢٤٤] وقال في الإفادة الأحمدية صحيفة ٤٣: كل من عمل عملاً وتقبل منه فرضاً كان أو نفلا، يعطينا الله تبارك وتعالى ولأصحابنا على ذلك العمل أكثر من مائة ألف ضعف ما يعطي لصاحبه ونحن رقود.

انظر هذا القول الذي حمل صاحبه على تكذيب الآيات القرآنية الكثيرة كآية: ﴿وأن ليس للإنسان إلا ما سعى﴾[٢٤٥] وآية ﴿اليوم تجزون ما كنتم تعملون﴾[٢٤٦] وآية ﴿فمن يعمل مثقال ذرة خيراً يره﴾[٢٤٧] إلى ما لا ينتهي، وهذا كفر صريح[٢٤٨].

---

(٢٤٣) انظر: المقاصد الحسنة للسخاوي رقم ٩٠٨ ص ٣٥٢، وأخرجه البيهقي بسند صحيح. والإجماع منعقد على أن الصحابة هم أفضل أمة الإجابة على الإطلاق، واعتقاد خلاف ذلك ضلال كبير، ومذهب أهل السنة أن أفضل الصحابة أبو بكر ثم عمر بلا خلاف، ثم عثمان، ثم علي على الصحيح. ولعل أحمد التجاني يقصد بالأقطاب: جماعة الصوفية، وقوله قول باطل على أي حال.

(٢٤٤) هذا القول من أقاويل التجابية يدرك الصبيان فساده بأوائل عقولهم، فلا يحتاج إلى أكثر من ذكره، فهو يحمل رده في طيانه.

(٢٤٥) سورة النجم ٣٩.

(٢٤٦) سورة الجاثية ٢٨.

(٢٤٧) سورة الزلزلة ٧.

(٢٤٨) هذا القول من التجانية، الذي قال فيه المؤلف إنه كفر، لا شك أنه كذب صرف، لا دليل عليه من كتاب ولا سنة فهو مجرد هذيان مخالف للآيات القرآنية، ومنها قوله تعالى: (لها ما كسبت وعليها ما اكتسبت) البقرة ٢٨٦.

وقال في الإفادة الأحمدية صحيفة ٤٦ : لو اطلع أكابر الأقطاب على ما أعد الله تعالى لأصحابنا في الجنة لبكوا عليه وقالوا : ما أعطيتنا شيئاً يا ربنا.

فهذا من مفترياته، فمن يعلم هذا غير نبي مرسل جاءه الوحي به من الله، وهو وأصحابه معدومون في الشريعة، لا يمكنه أن يدعي ذكراً فيه إلا الخرافات الكاذبة المفتراة عليه عليه الصلاة والسلام.

وقال في الإفادة الأحمدية صحيفة ٥٤ : من حلف بالطلاق أنه جالس مع المصطفى ﷺ في الوظيفة فهو بار في يمينه، ولا يلزمه الطلاق.

هذا الذي قال من الزور يريد به إبطال عصم من تبعه واقتدى به، فيكون كل تابع له زانياً إذا صدر منه هذا اليمين، تقليداً له، فهذا أمر لا يتصوره العقل ولا الشرع[٢٤٩].

وقال في الإفادة الأحمدية صحيفة ٥٧ : نهاني ﷺ عن التوجه بالأسماء الحسنى، وأمرني بالتوجه بصلاة الفاتح لما أغلق.

قصد بهذا تكذيب قوله تعالى : ﴿ولله الأسماء الحسنى فادعوه بها﴾[٢٥٠]، ولتعرض الناس عن المحقق إلى ما لا أصل له من هذه الصلاة المخترعة[٢٥١].

---

(٢٤٩) سبق ذكر قول أهل السنة والجماعة في الرد على من يقول بإمكان رؤية النبي صلى الله عليه وسلم بعد وفاته يقظة، وأن فساد ذلك القول يدرك بأوائل العقول، فلا يأتيهم في الوظيفة إلا الشيطان عليه لعنة الله.

(٢٥٠) سورة الأعراف ١٨٠.

(٢٥١) هذا الأمر من الشيطان غير موفق، وفساده مكشوف لمن له عقل أو دين، حيث أمره بترك التوجه بأسماء الله الحسنى والاعتياض عنها بصلاة مبتدعة بلا خوف، لعن الله الشيطان ما أشد عداوته لبني آدم.

وقال في الإفادة أيضاً صحيفة ٦٣ : قدماي هاتان على رقبة كل ولي لله تعالى من أول إنشاء العالم إلى النفخ في الصور.

فهذا من مفترياته المفضل بها لنفسه على جميع أصحاب الرسل، فلينظر كل مسلم هل هذا يصح من مسلم قوله(٢٥٢).

وقال في الإفادة الأحمدية صحيفة ٦٣ : قال لهم روحه الشريف ﷺ وروحي هكذا، وأشار بسبابته ووسطاه.

هذا ما فيه من الكفر إلا مساواته للنبي ﷺ(٢٥٣).

وقال في الإفادة الأحمدية صحيفة ٦٥ : قال لي ﷺ : بل ابـ شيطان هذه الأمة **هذا اغتياب وقول من هذا الفاجر تزهيداً المسلم، وترغيباً في ضلالاته هو.**

وقال في الإفادة الأحمدية صحيفة ٦٥ : القطب له عصمة كـ الأنبياء عليهم الصلاة والسلام.

كذب عدو الله، لا عصمة إلا للأنبياء، والقطب من جملة الأولياء، ولهم الحفظ لا العصمة، ولكنه هو يجهل معنى العصمة ومعنى الحفظ(٢٥٤).

---

(٢٥٢) صدق رسول الله حيث قال: «إذا لم تستح فاصنع ما شئت...» أخرجه البخاري وأبو داود وابن ماجة وأحمد، انظر صحيح الجامع الصغير للألباني برقم: ٢٢٣٠.

(٢٥٣) سبق قوله وقول سلفه في شأن تفضيلهم لأنفسهم على الأنبياء.

(٢٥٤) لا خلاف بين المسلمين في أن العصمة خاصة بالأنبياء عليهم الصلاة والسلام، ومن اعتقدها في غير الأنبياء - كما هو اعتقاد الرافضة - فهو ضال. والقطب مرادف للغوث على القول الصحيح، وهو على المعنى الذي يعتقده الصوفية خرافة لا دليل عليها من كتاب ولا سنة. قال شيخ الإسلام ابن تيمية: ثلاثة أشياء ما لها من أصل، باب النصيرية، ومنتظر الرافضة، وغوث الجهال، وقال=

وقال في الإفادة الأحمدية صحيفة ٨ : سبحان الله، كل هذه الخلائق يقال له : جز من أجلي .

نعم، يجوز من أجله كل من اتبع طريقه من الخلائق إلى النار، وأما الأنبياء فليست لهم هذه الرتبة بأن يدخلوا كل أحد من أممهم الجنة.

وقال في الإفادة الأحمدية صحيفة ٦٩ : شفعني الله في أهل عصري من يوم ولادتي إلى يوم حلول رمسي، وزاد في بغية المستفيد صحيفة ١٦٥ : وزيادة عشرين سنة .

انظر هذا التحديد والكذب الموجب لتهاون من يقبل هذا الكلام بالأعمال الصالحة(٢٥٥) .

وقال في الإفادة الأحمدية صحيفة ٦٩ : هو ﷺ كفاني الحضور مع أصحابي عند الموت وعند السؤال .

هذا من كذبه فإنه لم يرد عنه ﷺ أنه يحضر لأحد عند الموت وعند السؤال وأصحابه هو لا يحضر لهم إلا الشيطان المقترنون به بالدنيا(٢٥٦) .

= في موضع آخر: وأما الأسماء الدائرة على ألسنة كثير من النساك والعامة مثل الغوث الذي بمكة، والأوتاد الأربعة والأقطاب السبعة والأبدال الأربعين والنجباء الثمانمائة فهي ليست موجودة في كتاب الله ولا هي مأثورة عن النبي صلى عليه وسلم لا بإسناد صحيح ولا ضعيف محتمل إلا لفظ الأبدال فقد روى فيه حديث شامي منقطع الإسناد عن علي كرم الله وجه، غاية الأماني للألوسي ج ١ ص ٤٢٢، أما على المعنى الذي يراه أهل السنة فلا مانع منه، إن صحت الأحاديث الواردة في الموضوع، والأحاديث الواردة في القطب قال فيها ابن الجوزي إنها كلها موضوعة ومشاها السيوطي. انظر: المشتهى ص ٥١٤، وموضوعات الفتني ص ١٩٤.

(٢٥٥) هذه الأقاويل ما أظنها تخفى إلا على من رفع عنه القلم، أو من يعتقد أن التجاني رسول من عند الله، ولا يسمعها أحد ويبقى منتسبا لطريقة أحمد التجاني، إلا إذا كان مصابا بسحر قطعاً.

(٢٥٦) عقيدة حضور الرسول صلى الله عليه وسلم أو الشيخ عند قبض أرواح المريدين عقيدة فاسدة=

وقال في الإفادة الأحمدية صحيفة ٧٤: يوضع لي منبر من نور يوم القيامة، وينادي مناد حتى يسمعه كل من بالموقف: يا أهل الموقف، هذا إمامكم الذي كنتم تستمدون منه في دار الدنيا من غير شعوركم.

وهذا أيضاً في بغية المستفيد صحيفة ١٧٢. **انظر هذا الكذب الذي لم يمكن صدوره من موحد، فما وقع هذا لنبي، وفيه تصريحه بأن جميع من خلق الله كان مستمداً منه برسله وأنبيائه لشمول الموقف لهم. فما يوضع له في ذلك اليوم إلا منبر من النار.**

وقال في الإفادة الأحمدية صحيفة ٨٠: من لم يعتقد أنها من كلام الله لم يصح الثواب فيها. يعني صلاة الفاتح. **ومن اعتقد أنها من كلام الله اعتقد كفراً، لأن كلام الله لا ينزل إلا على الرسل، وهي نازلة على دجال في القرن الثاني عشر**(٢٥٧).

وقال في جواهر المعاني الجزء الثاني، صحيفة ١٦: إن الشيخ العارف يمكنه أن ينقل روحه من جسده إلى جسد رجل آخر، ويتصرف بذلك الرجل بما يريد من الأمور.

= لا دليل عليها من كتاب ولا سنة، وليست خاصة بالتجانية؛ فقد تقدم ذكر ذلك عن بعض مشايخ القادرية في صفحة سابقة. ولو فرضنا جدلاً أنهم يحضرون، فحضورهم لا يقدم ولا يؤخر؛ فقد حضر الرسول صلى الله عليه وسلم أبا طالب عند وفاته حقيقة ولم ينفعه بشيء، وقال لفاطمة رضي الله عنها: يا فاطمة بنت رسول الله سليني بما شئت لا أغني عنك من الله شيئاً. مسلم ج٢ ص ٨٢. فالذي يعتقد أن حضور الشيخ – على فرض صحته – يفيد شيئاً فهو مخبول. وقد سبق ذكر موقف أهل السنة من عقيدة الاستمداد الشركية، والتجاني والدباغ من أشد المتصوفة غلواً فيها، وهي عقيدة ظاهرة البطلان، لعدم ما يؤيدها من الوحي، أما العقل فلا علاقة لها به البتة.

(٢٥٧) يقول الله عز وجل: (هل أنبئكم على من تنزل الشياطين تنزل على كل أفاك أثيم) الشعراء ١٢١ – ١٢٢ ولا شك أن الورد المخترع – صلاة الفاتح – من اعتقد أنه من كلام الله على وجه الحقيقة فقد ارتد، لأن صاحبه يعتقد إمكان نزول الوحي على غير الرسل، وقد مر بك كلام القاضي عياض وغيره في الموضوع.

هذا فيه من الردة المجمع عليها، من قوله بتناسخ الأرواح، فتناسخ الأرواح لا يصح لولي ولا لجني[٢٥٨].

وقال في صحيفة ٦٧، من جواهر المعاني: قال علي بن أبي طالب رضي الله عنه: أنا مبرق البروق، ومرعد الرعود، ومحرك الأفلاك ومديرها.

يريد بذلك أنه خليفة الله في أرضه في جميع مملكته، وهذا كذب وكفر، وفيه نسبة علي رضي الله عنه لما لم يقله، وهو من أفعال الله التي لا يصح لمخلوق الاتصاف بها[٢٥٩].

وقال في جواهر المعاني الجزء الثاني، صحيفة ٩١: اعلم أن الله سبحانه وتعالى جعل في سابق علمه ونفوذ مشيئته أن المدد الواصل إلى خلقه من فيض رحمته هو في كل عصر يجري مع الخاصة العليا من النبيين والصديقين، فمن فزع إلى أهل عصره الأحياء من ذوي الخاصة العليا وصحبهم واقتدى بهم واستمد منهم، فاز بنيل المدد الفائض من الله، ومن

---

(٢٥٨) عقيد التشكل عقيدة فاسدة عند التجانية وغيرهم من منحرفي الصوفية. يقول الدباغ: يتصور في طور الولاية أن يقعد الولي مع قوم يشربون الخمر، وهو يشرب معهم، فيظنونه شارب الخمر، وإنما تصورت روحه في صورة من الصور وأظهرت ما أظهرت. الإبريز ج٢ ص ٤١. وقد ذكر الشعراني في كرامات أسياده شيئاً من ذلك، نعوذ بالله من الخذلان، فمن لم يلتزم بالكتاب والسنة تلاعب به الشيطان لا محالة.

(٢٥٩) ما ذكره عن علي، هو عقيدة منحرفي الصوفية فيما يسمونه القطب، وهم يعتقدون أن علياً من الأقطاب في مفهومهم، فالقطب أو الغوث عندهم هو الذي يدبر الكون، وعليه تدور أحوال الخلق، وهو الذي يفيض روح الحياة على الكون الأعلى والأسفل. جامع الأصول للمكشخانلي، والتعريفات للجرجاني تحت مادة (قطب)، انظر: هذه هي الصوفية ص ١٢٤-١٢٥-٢٢٦، والفكر الصوفي ص ٣٦٧ - ٣٦٩ - ٣٧٢ - ٦٣٧.

يقول الدباغ: رأيت ولياً بلغ مقاماً عظيماً، وهو أنه يشاهد المخلوقات الناطقة والصامتة، والوحوش، والحشرات، والسماوات ونجومها، والأرضين وكرة العالم بأسرها تستمد منه، ويسمع كلامها وأصواتها في لحظة واحدة ويمد كل واحد بما يحتاجه ويعطيه ما يصلحه من غير أن يشغله هذا عن ذاك. الإبريز ج ٢ ص ٧٣.

أعرض عن أهل عصره مستغنياً بكلام من تقدم من الأولياء الأموات طبع عليه بطابع الحرمان.

قد قال هذا من الخرافات الكاذبة ليجلب بها إلى نفسه المنافع الدنيوية، غير مبال بما فيه من الإثم، فإن من أعرض عن الموجودين وتمسك بأقوال السلف الصالح وأفعالهم يكون أولى بالقبول والنجاة ممن تمسك بأهل العصر الذي كثر فيه الزيغ والفساد.

وقال في صحيفة ٩٢ من الجواهر، الجزء الثاني: إن لنا مرتبة عند الله تناهت في العلو عند الله تعالى إلى حد يحرم ذكره.

انظر هذا الفجور الذي لم يقله أحد، والذي يحرم ذكره من المراتب هو ما كان بنوة لله أو شريكاً لله في الألوهية، وما عدا ذلك أعلاه مراتب الرسل، وذلك لا يحرم ذكره[٢٦٠].

وقال أيضاً في صحيفة ١٤٥: إن الولي الصالح محمد بن العربي التازي المتوفى سنة ١٢٤١ للهجرة كان كثيراً ما يلقي النبي ﷺ ويعلمه أشعاراً، وكان يقول له: لولا محبتك بالتجاني لم ترني قط.

هذا من خرافاته ومناقضته الآية: ﴿وما علمناه الشعر وما ينبغي له﴾[٢٦١]، فالنبي ﷺ لا يحسن حكاية الشعر فضلاً عن إنشائه[٢٦٢].

---

(٢٦٠) هذا إنما هو تهويل للرعاع لإضلالهم، فهو وغيره ممن لم يرد فيه خبر من الله لا يعرف عن نفسه في المستقبل شيئاً، فلا يعرف ما يختم له به ولا لأصحابه، نسأل الله عز وجل أن يختم لنا بالحسنى. ومن اعتقد مشابهة الرسل فهو مرتد، لمخالفة الكتاب والسنة والإجماع.

(٢٦١) سورة يس ٢٦٩.

(٢٦٢) يشتمل هذا الكلام على ثلاث كذبات، الأولى: قوله إن الولي الصالح محمد بن العربي، هذا كذب، فمن يحب التجاني بعد معرفته بحاله فهو ضال وليس بولي لله، والثانية: أن الرسول صلى الله عليه وسلم يعلمه الشعر. والثالثة: دعواه إمكان رؤية النبي صلى الله عليه وسلم بعد وفاته يقظة، وقد تقدم موقف السلف من ذلك.

وقال في الجواهر أيضاً، الجزء الثاني، صحيفة ١٥١ - ١٥٤: من رسالة إلى أهل فاس، وبها يحثهم على ترك المعاصي، ويؤكد على تلاوة صلاة الفاتح؛ لأنها لا تترك من الذنوب شاذة ولافاذة، ثم أبشروا إن كل من كان على محبتنا إلى أن مات عليها يبعث من الآمنين على أي حالة كان، وكذلك من أخذ وردنا يبعث من الآمنين هو ووالداه وأزواجه وذريته المنفصلة عنه.

انظر هذا الافتراء المؤدي إلى ترك الأعمال الصالحة والاكتفاء بهذا الورد الكاذب، بدون دليل من كتاب أو سنة ليدخلوا في الأمن من مكر الله[٢٦٣].

وقال في الجواهر صحيفة ١٦٦ من الجزء الثاني: وأقول لكم إن مقامنا

---

(٢٦٣) لا يشك مسلم مميز في بطلان هذا الكلام؛ لأن الخواتم أمرها غيب لا يعمله إلا الله، وأجمعت الأمة على أنه لا يقطع لأحد من المسلمين بجنة ولا نار إلا بنص من الشارع وبذلك يتضح لك فساد ضمان بعض المتصوفة للمريدين حسن الخاتمة، فمذهب أهل السنة والجماعة عدم جواز القطع لأحد معين بجنة أو نار إلا بنص من الشارع وإنما القطعي يقال: إن من مات على الإيمان الصحيح فهو من أهل الجنة، وأن الخواتم لا يعلمها إلا الله تعالى. شرح الطحاوية ٤٢٦ -٤٢٧، ومن هنا تعلم فساد القول الوارد في بعض كتب القادرية وهو: أن صاحبه لا يموت إلا على حسن الخاتمة. نعت البدايات ٢٠٢. ولقد شنع العلماء على من يشهد لأحد بجنة أو نار بدون نص من الشارع إذ الخواتم بيد الله لا يعلمها إلا هو، قال شيخ الإسلام ابن تيمية في كلام له في الموضوع: «ولهذا لا يشهد لمعين بالجنة إلا بدليل خاص، ولا يشهد لمعين بالنار إلا بدليل خاص، ولا يشهد لهم بمجرد الظن من إندراجهم في العموم لأنه قد يندرج في العمومين فيستحق الثواب والعقاب لقوله تعالى (فمن يعمل مثقال ذرة خيراً يره ومن يعمل مثقال ذرة شراً يره) الزلزلة ٧-٨، الفتاوي ٣٥ - ٣٨. ولأبي حيان:... ولقد يظهر من هولاء المنتسبة إلى الصوف أشياء من ادعاء علم المغيبات والاطلاع على علم عواقب أتباعهم، وأنهم معهم في الجنة مقطوع لهم ولأتباعهم بها.. هذا مع خلوهم من العلوم يوهمون أنهم يعلمون الغيب، والله يقول: (لا تعلمهم نحن نعلمهم) التوبة ١٠١ وقال شعيب: (وما أنا عليكم بحفيظ) هوة ٨٦، وقال نوح: (وما علمي بما كانوا يعملون) الشعراء ١١٢، إلى أن يقول: فدعاوي هؤلاء المنتسبين للصوف لا ترجع إلى كتاب الله ولا إلى سنة رسول الله، وإنما تجري على الأخبار الكاذبة. البحر المحيط ٤/ ١٤٥. ٥-٩٣.

عند الله في الآخرة لا يصله أحد من الأولياء ولا يقاربه، لا من صغر ولا من كبر، وإن جميع الأولياء من عصر الصحابة إلى النفخ في الصور ليس فيهم من يصل إلى مقامنا.

إلى أن قال: ولم أقل لكم ذلك حتى سمعته منه ﷺ تحقيقاً..

هذا من تعمد الكذب عليه عليه الصلاة والسلام، ليخالف ما هو وارد عنه من فضل أصحابه على كل أحد غير الأنبياء، وأجمعت الأمة على ذلك، وهذا جعل نفسه أفضل من أبي بكر والعشرة، أخزاه الله ما أكذبه(٢٦٤).

وقال في الجواهر صحيفة ١٦٦ من الجزء الثاني: ليس من الرجال من يدخل كافة أصحابه الجنة بغير حساب ولا عقاب، ولو عملوا من الذنوب ماعملوا، وبلغوا من المعاصي ما بلغوا إلا أنا وحدي، ووراء ذلك مما يذكر لي فيهم، وضمنه ﷺ، أمر لا يحل لي ذكره، ولا يرى إلا في الآخرة.

هذا الذي ضمنه له ﷺ لم يضمنه لنفسه ولا لأصحابه، فكل ساعة يحذرهم من المعاصي، ويغريهم بطاعة الله تعالى، والذي وراء ذلك مما لم يكن ذكره ما هو إلا الربوبية(٢٦٥).

---

(٢٦٤) الذي أخبره بهذا الباطل شيطانه الذي أمره بترك التوجه إلى الله بأسمائه الحسنى، وأمره بالتوجه بصلاة الفاتح المبتدعة، فقد ابتلاه الله بهذا الشيطان ورسب في الامتحان. نسأل الله السلامة والعافية.

(٢٦٥) هذا الضمان الذي ذكره أحمد التجاني ضمنه له قرينه، أما الرسول ﷺ فلم يلقه قطعاً، لأنه توفيَ قبل مولد التجاني بإثني عشر قرناً، فهذا الضمان المذكور لا أساس له عقلاً ولا شرعاً، وأما قوله: وراء ذلك.. فذلك تهويل على العوام الذين لا يعقلون، وإمعان في الكذب؛ فالرسول ﷺ سأله أحد الصحابة مرافقته في الجنة، فقال له: أو غير ذلك؟ فيقول لا أريد غير ذلك فيقول صلى الله عليه وسلم: أعني على نفسك بكثرة السجود. أخرجه مسلم برقم ٤٨٩، أفيقوم قبل يوم البعث ويسافر إلى المغرب ويلتقي بالتجاني ويضمن له ولكل المبتدعة معه ما لم يضمنه لأصحابه؟!

وقال في الجواهرم، صحيفة ١٧٠ من الجزء الثاني: فأقول لك، الأولى في ذلك الكرامة التي شاعت وذاعت عند المعتقد على زعم المنتقد، وهي أعظم خير يرجى، وأفضل موعدة تترجى أن كل من أخذ وردنا وداوم عليه إلى الممات أنه يدخل الجنة بغير حساب ولا عقاب هو ووالده وأزواجه وذريته، وأما إن كان محباً ولم يأخذ الورد لم يخرج من الدنيا حتى يكون وليا.

هذا فيه من الكذب الأمن من سوء الخاتمة، وهو موجب لسوء الخاتمة، فمن عنده هذا الورد يموت على سوء الخاتمة، مع أنه على كل حال مرتد، ميت على الكفر إن لم يتب من الكفر الذي هو عليه(٢٦٦).

وقال في الجواهر أيضاً، صحيفة ١٧٠: وكذلك من حصل له النظر فينا يوم الجمعة أو الاثنين يدخل الجنة بغير حساب ولا عقاب، زاد في (بغية المستفيد) في صحيفة ١٦٣: ولو كان كافراً يختم له بالإيمان.

انظر جرأة هذا الكاذب، حيث أثبت لنفسه ما لم يثبت لأولى العزم من الرسل، فكم دعوا من كافر قريب ومات على الكفر، كعمه عليه الصلاة والسلام، وابن نوح، وابن آدم، وأبي إبراهيم(٢٦٧).

وقال في الجواهر صحيفة ١٧٢ من الجزء الثاني: واعلم أن كل ما تذكره

---

(٢٦٦)...

(٢٦٧) تشابهت قلوب منحرفي الصوفية في كثير من مفترياتهم؛ فقد قال الميرغني المتوفى سنة ١٢٦٨هـ: من رآني ومن رأى من رآني إلى خمسة لم تمسه النار. تاج التفاسير ص٤. ولأحمد البدوي قوله: إذا كنت أرعى الوحوش والسمك في الماء وأحمي بعضهم من بعض افيعجزني الله عن حماية من يحضر مولدي؟ طبقات الشعراني ج١ ص١٨٧.
فهذه الأقوال يفهم منها تفضيل هؤلاء المبتدعة على الرسول صلى الله عليه وسلم؛ لأن الرسول رآه أبو طالب ولم يدخل الجنة، وحرص على إسلامه أشد الحرص، حتى نزل عليه قوله تعالى: (إنك لا تهدي من أحببت ولكن الله يهدي من يشاء) القصص ٥٦.

من الأذكار والصلوات على النبي ﷺ والأدعية لو توجهت بجميعها مائة ألف عام كل يوم تذكرها مائة ألف مرة وجميع ثواب ذلك كله ما بلغ ثواب مرة واحدة من صلاة الفاتح لما أغلق، فإنها كنز الله الأعظم.

هذا كله افتراء وكذب ومخالف لما اتفق عليه في الحديث: «أفضل ما قلته أنا والنبيون من قبلي لا إله إلا الله»(٢٦٨)، وهذه صلاة مخترعة ليس لها أصل في كتاب ولا سنة، والصلاة الواردة عنه ﷺ أفضل منها، ولم يذكر لها هذا المعنى.

وقال في الجواهر أيضاً صحيفة ٢١٨: إن من داوم على قراءة (ياقوتة الحقائق) يضمن له خيري الدنيا والآخرة، ومن ذكرها مرتين في الصباح وفي المساء غفرت له ذنوبه الكبائر والصغائر بالغة ما بلغت.

هذا كمفترياته السابقة، وإغراء الناس بالتأمين من مكر الله بهذه الصلاة المخترعة الباطلة، ولم تغفر الكبائر بشيء من الطاعات إلا بالجهاد وبالهجرة والحج على قول في الجميع، والصحيح أنها لا تغفر إلا بالتوبة(٢٦٩).

---

(٢٦٨) أخرجه مالك في الموطأ، وأحمد في المسند، والترمذي، أنظر: جمع الفوائد من جامع الأصول للإمام محمد بن سليمان ج ٣ ص ٣٨١. مطابع الرشيد المدينة المنورة ١٤٠٦ للهجرة. وأنظر: شرح النووي على مسلم ج٩ ص ٢٥ ط دار أبي حيان سنة ١٤١٥ للهجرة.

(٢٦٩) استدل التجانيون على مفترياتهم هذه بحديث العباس بن مرداس الذي رواه أحمد والبيهقي وابن ماجه في شأن تكفير الحج للتبعات، واستدلالهم فاسد قطعاً، والحديث أورده ابن الجوزي في الموضوعات، وقال فيه ابن حجر: غايته أنه ضعيف، وقد أجمع علماء الأمة على أن من اعتقد أن الحج يسقط ما عليه من الصلاة والزكاة فإنه يستتاب بعد تعريفه إن كان جاهلاً، فإن تاب وإلا قتل، ولا يسقط حق لآدمي من مال أو عرض أو دم بالحج إجماعاً. الفتاوى ج٤ ص ٤٦٧، وقال ابن العربي في العارضة.. فإذا كانت الصلاة مقرونة بالوضوء لا تكفر الكبائر؛ فإنفراد الوضوء بالتكفير عن ذلك أحرى.. الرابعة: إن التكفير إنما هو للذنوب. المتعلقة بحقوق الله سبحانه، فأما المتعلقة بحقوق الآدميين فإنما يقع النظر فيها بالمقاصة مع الحسنات والسيئات. عارضة الأحوذي ج١ ص ١٠.

وقال في بغية المستفيد، في صحيفة ٥٧: كما أن النبي ﷺ كان نبياً وآدم بين الماء والطين، هو كان ولياً عالماً بولايته في ذلك العالم، وغيره من الأولياء ما كان ولياً بالفعل، ولا عالماً بولايته إلا بعد تحصيله ما يشترط في الاتصاف بالولاية من الأخلاق.

انظر هذا الافتراء المصرح فيه بمساواته مع سيد البشر ﷺ في الخصوصية التي أعطيت له عن جميع الرسل، فلم يتركها له حتى ادعى مثلها لنفسه، أخزاه الله ما أكذبه[٢٧٠].

وقال في بغية المستفيد صحيفة ٥٩: إنه ﷺ أضاف جميع الفقراء المتمسكين بهذا العهد على هذا الورد إلى سيادته السنية ومكانته العلية، إضافة خاصة تؤذن بشرف منزلتهم وشفوف مرتبتهم عند الله تعالى، وذلك أنه قال له ﷺ يقظة لا مناماً: فقراؤك فقرائي وتلامذتك تلامذتي.

هذا من كذبه الداخل به في النار لحديث: «من كذب علي متعمداً فليتبوأ مقعده من النار»[٢٧١]، فأي دليل على أنه قال له هذا، وبينه وبينه اثنا عشر قرناً، ورؤيته عليه الصلاة والسلام يقظة لم يرد فيها حديث ضعيف كما قال المحدثون، ولا ادعاها صحابي ولا تابعي[٢٧٢].

وقال في البغية في صحيفة ٥٩: إن لأهل هذه الطريقة علامة يتميزون بها عن غيرهم، ويعرف بها أن رسول الله ﷺ هو صاحبها بوجه

---

(٢٧٠) هذه المفتريات كلها ترجع إلى شيء واحد، هو أنه تشكل له الشيطان بصورة رجل وقال له: أنا رسول الله، وحمله ما حمله من المفتريات الفاسدة، ولم يتنبه إلى أن الذي أتاه شيطان ماكر، وهذا مثل ما وقع لابن عربي تماماً، هذا على فرض أنه لم يختلقه من نفسه.

(٢٧١) تقدم تخريجه.

(٢٧٢) تقدم كلام القرطبي والقسطلاني وابن تيمية وغيرهم في إبطال دعوى رؤية النبي صلى الله عليه وسلم بعد وفاته يقظة لا مناماً.

خاص، وهي كما قاله حواري هذه الطريقة المشهود له في معرفة أسرارها بالتبريز والتحقيق: إن كل واحد من أهلها مكتوب بين عينيه بطابع النبي ﷺ، محمد رسول الله ﷺ، وعلى قلبه ممايلي ظهره محمد بن عبدالله، وعلى رأسه تاج من نور مكتوب فيه: الطريقة التجانية منشؤها الحقيقة الأحمدية.

هذا من كذبه الظاهر، فما رأينا في وجوههم إلا السواد الدال على الدخول في النار، ولا على أكتافهم إلا سحابات الخزي والعار، ولا على رؤوسهم، فأين هذه الطوابع المفتراة[٢٧٣].

وقال في بغية المستفيد صحيفة ٢٠٤: إن آخذ ورد التجاني يكون مستقراً بجوار النبي ﷺ في أعلا عليين بلا حساب ولا عقاب، وتغفر ذنوبه الكبائر والصغائر ما تقدم منها وما تأخر، وتحط عنه التبعات، يعني: ما عليه من الحقوق الخلقية، - لا من حسناته - ويأمن من هول الموقف، ويأمن عذاب القبر.

هذا فيه ما تقدم من الأمن من مكر الله والكذب على رسول الله ﷺ، والتبعات لا تحط بشيء من الطاعات، لا بالجهاد ولا بالحج ولا بالهجرة، كما هو صريح الأحاديث الصحيحة[٢٧٤].

---

(٢٧٣) لا يشك عاقل، فضلاً عن مسلم، في أن ما ذكره هنا عمن يسميه حواري طريقتهم، خرافات لا أساس لها من الصحة، لعدم دليل من كتاب أو سنة، وهذه الأمور التي ذكرها لا تدرك إلا عن طريق الوحي، ولا دليل عليها مطلقاً، بل هي مجرد هراء يستحي العاقل من حكايتها، فضلاً عن اعتقادها. وقوله: إن للطريقة التجانية علامة يتميزون بها عن غيرهم يوم القيامة، فلا يبعد فقد ورد قوله تعالى: (وامتازوا اليوم أيها المجرمون) يس ٥٩. وجاء: أن أهل البدعة تسود وجوههم يوم القيامة.

(٢٧٤) في صحيح مسلم: أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قام فيهم فذكر لهم أن الجهاد في سبيل الله والإيمان بالله أفضل الأعمال؛ فقام رجل فقال يا رسول الله: أرأيت لو أني قتلت في سبيل الله= =

فلينظر كل مسلم فيما جمع من مفتريات هذا الرجل الذي هو قطرة من بحر، فكل واحدة منه إما كفر صريح أو ضمن، فيجب على كل من له غيرة على الدين، ولا سيما إذا كان من علماء المسلمين أن يفصح بالنكير، ويشن الغارة على هذا الدجال الكبير ومن تبعه من المضلين، ويحذر المسلمين منهم ومن غرورهم.

تنبيه:

الكتب التي أشرنا إليها، هي:

- جواهر المعاني الجزء الأول، والجزء الثاني، طبع المطبعة الأزهرية بمصر، الطبعة الثانية، سنة ١٣٤٥ للهجرة.
- بغية المستفيد، بهامشه: الجيش، الطبعة الأولى، مطبعة التقدم العلمية سنة ١٣٢٦ للهجرة.
- الإفادة الأحمدية، مطبعة الصدق الخيرية، سنة ١٣٥٠ للهجرة.

ومما هو كاف في الرد على هؤلاء القوم، اعترافاتهم الخطيرة التي سجلت عنهم، والتي لا يمكن نكرانها، فهي دليل على مقاصدهم السيئة يسيرون بها تحت ستر الإسلام والدعاية بالتصوف الكاذب المزور على النبي ﷺ وغيره، أما الآن فقد ظهر ما كانوا يبطنون ويسترون من الكيد للإسلام، فليحذر منهم المسلمون في جميع الأقطار، فهم دعاة الكفر، وهداة الاستعمار، ورحم الله من قرأ فوعى.

= تكفر عني خطاياي؟ فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم: نعم، إن قتلت في سبيل الله وأنت صابر محتسب مقبل غير مدبر، ثم قال له رسول الله صلى الله عليه وسلم، كيف قلت؟ قال: أرأيت إن قتلت في سبيل الله أتكفر عني خطاياي؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: نعم، وأنت صابر محتسب مقبل غير مدبر، إلا الدين؛ فإن جبريل عليه السلام قال لي ذلك. صحيح مسلم مع شرح النووي ٧/ ٣٥.

ملحق بكتاب إعلام المسلمين وضعه كاتب المقدمة

« وهذه مجموعة أخرى من الهذيان أو من وحي الشيطان الذي يعتقد التجانيون أنهم مخصوصون به دون غيرهم كتبتها من كتاب الرماح وهو من مراجع التجانية المهمة ليقف عليها من كان يجهلها من أولي الألباب، وسوف يظهر له جلياً المدى الذي وصل إليه فساد اعتقاد هذه الطائفة من المتصوفة. قال صاحب كتاب الرماح بعد كلام له ساقط في فضل التجانية في زعمه الفاسد:

* أن يخفف عنهم سكرات الموت.

* لا يحاسبهم الله تعالى ولا يناقشهم ولا يسألهم عن القليل والكثير يوم القيامة.

* لا يريهم في قبورهم إلا ما يسرهم.

* أن يؤمنهم من جميع عذابه.

* أن يظلهم الله في ظل عرشه يوم القيامة.

* أن يجيزهم الله على الصراط أسرع من طرفة عين على كواهل الملائكة.

* أن يسقيهم الله تعالى من حوضه ﷺ يوم القيامة.

* أن يدخلهم الجنة بغير حساب ولا عقاب في أول الزمرة الأولى.

* أن يجعلهم الله تعالى مستقرين في الجنة في عليين من جنة الفردوس وجنة عدن.

* أن أحدهم إذا رآه شخص يوم الإثنين أو يوم الجمعة فإن الرائي يدخل الجنة بلا حساب ولا عقاب.

* أن منهم من إذا رآه شخص وقال له الرائي أشهد أني رأيتك، وقال له المرئي شهدت أنك رأيتني فإن الرائي يدخل الجنة.

* أن لهم في المحشر موضعاً في ظل العرش يكونون فيه وحدهم.

* أنهم لا يدخلون المحشر مع الناس ولا يرون مشقة من موتهم إلى أن يستقروا في عليين.

* أنهم في أعلى عليين وأن أحبابهم من غير أهل الطريقة في عليين فقط.

* أن لهم برزخاً وحدهم يستظلون به.

* أنهم لا يحضرون أهوال الموقف ولا يرون صواعقه وزلازله ويكونون مع الآمنين عند باب الجنة يدخلون مع الرسول ﷺ في الزمرة الأولى مع الصحابة.

* ومن خرافاتهم أن الكعبة المشرفة تطوف كل يوم سبعاً بكل واحد منهم وهو في مكانه، ويسلم السحاب على كل واحد منهم وكذلك الجراد(٢٧٥).

* وأن ديوان الصالحين بغار حراء.. يجلس الغوث خارج الغار.. وأربعة أقطاب عن يمينه وهم مالكية وثلاثة أقطاب عن يساره.. واحد من كل مذهب من المذاهب الثلاثة، والوكيل أمامه واسمه:

---

(٢٧٥) الدرة الخريدة ج ١ ص ٤٧.

سيدي عبدالكريم البصراوي ويحضره بعض الكمل من الأموات.. ويتميزون عن الأحياء بثلاثة أمور..

أحدها: أن زيهم لا يتبدل.

ثانيها: لا تقع معهم مشاورة في أمور الأحياء لأنه لا تصرف لهم فيها.

ثالثها: أن ذات الميت لا ظل لها؛ فإذا وقف بينك وبين الشمس فإنك لا ترى له ظلاً[٢٧٦].

هذا ما رأيت ضرورة كتابته من هذه الأباطيل وليس من تعليق على هذا الهراء إلا أن يقول المسلم: يا مقلب القلوب ثبت قلبي على دينك، وصدق الله العظيم حيث يقول في محكم التنزيل: ﴿أفمن زين له سوء عمله فرآه حسناً فإن الله يضل من يشاء ويهدي من يشاء فلا تذهب نفسك عليهم حسرات إن الله عليم بما يصنعون﴾[٢٧٧] ويقول سبحانه ﴿قل هل أنبئكم بالآخسرين أعمالاً الذين ضل سعيهم في الحيات الدنيا وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعاً﴾[٢٧٨]، نسأل الله الكريم رب العرش العظيم ألا يجعلنا ممن زين له سوء عمله فرآه حسنا.

(٢٧٦) الرماح ج١ ص ٢٠١، وقد شاركهم في اعتقاد خرافة الديوان الصوفي بعض طوائف المتصوفة الأخرى أنظر: الإبريز ص ١٦٣ - ١٦٤ - ١٦٨ - ١٧٤.

(٢٧٧) فاطر ٨.

(٢٧٨) الكهف ١٠٤.

الفرق بين أولياء الله وأولياء الشيطان:

قد التبس على كثير من الناس أولياء الرحمن بأولياء الشيطان، والكرامات الرحمانية بالأحوال الشيطانية، حتى ظن الكثير أن كل من جرى على يده خارق من الخوارق، أو حصلت له مكاشفة، أو فراسة لشيء غائب عنه، أنه من أولياء الله تعالى، وجهلوا أو تجاهلوا أن الخوارق تحصل لأولياء الله ولأعدائه من السحرة وأولياء الشيطان.

وقد بين الله الفرق بين هؤلاء وهولاء، فعن أوليائه تعالى قال: ﴿ألا إن أولياء الله لا خوف عليهم ولا هم يحزنون الذين آمنوا وكانوا يتقون﴾(٢٧٩). ﴿الله ولي الذين آمنوا يخرجهم من الظلمات إلى النور والذين كفروا أولياؤهم الطاغوت يخرجونهم من النور إلى الظلمات﴾(٢٨٠) وعن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال: «إن الله قال: من عادى لي ولياً فقد آذنته بالحرب...»(٢٨١) وقال تعالى عن أولياء الشيطان: ﴿إنا جعلنا الشياطين أولياء للذين لا يؤمنون﴾(٢٨٢) وقال: ﴿ومن يتخذ الشيطان ولياً من دون الله فقد خسر خسرانا مبينا﴾(٢٨٣)، وقال: ﴿وإن الشياطين ليوحون إلى أوليائهم ليجادلوكم وإن أطعتموهم إنكم لمشركون﴾(٢٨٤)، فتحصل من نصوص الوحي أن لله أولياء من خلقه، وللشيطان أولياء منهم،

---

(٢٧٩) سورة يونس ٦٢ – ٦٣.

(٢٨٠) سورة البقرة ٢٥٧.

(٢٨١) صحيح البخاري رقم ٣٧ ٦١ كتاب الرقاق.

(٢٨٢) سورة الأعراف ٢٧.

(٢٨٣) سورة النساء ١١٩.

(٢٨٤) سورة الأنعام ١٢١.

ويجب أن نفرق بين هؤلاء وهؤلاء كما فرق الله ورسوله بينهما، فأولياء الله المتقون المتبعون لمحمد ﷺ ظاهراً وباطناً، المقتدون به فيما سن لهم، المنتهون عما نهى عنه، فيؤيدهم الله بالملائكة ويقذف في قلوبهم من أنواره، وإنما يتفاضلون في ذلك بحسب تقواهم واتباعهم.

وأولياء الشيطان هم أعداء الله من كفرة ومشركين وسحرة وفسقه ومبتدعين، فيقيض الله لهم الشياطين كما قال ﴿ومن يعش عن ذكر الرحمن نقيض له شيطاناً فهو له قرين﴾(٢٨٥).

وهناك فروق بين كرامات الأولياء المؤمنين المتقين وبين ما يشبهها من أحوال إخوان الشياطين، فكرامات الأولياء سببها الإيمان والتقوى لله، تولى أصحابها ربهم بطاعته بما أمرهم به، وتركهم ما نهاهم عنه فتولاهم الله بكرامته وتأييده.

وسبب الخوارق الشيطانية، معصية الله بارتكاب معاصيه من شرك بالله، وظلم لعباده، وابتداع في شرعه، ودجل لإضلال خلقه، فتتولى هؤلاء الجن والشياطين فيضلونهم ويمكرون بهم، ﴿أولئك حزب الشيطان ألا إن حزب الشيطان هم الخاسرون﴾(٢٨٦).

وكان من أول من ظهر في الإسلام من هؤلاء: المختار بن أبي عبيد الثقفي، الذي اتفق العلماء والمؤرخون على أنه كذاب كاهن، عرف بحديث أسماء رضي الله عنها، قالت للحجاج بن يوسف: إن رسول الله ﷺ حدثنا «أن في ثقيف كذاباً ومبيراً»، فأما الكذاب فرأيناه، وأما المبير فما إخالك إلا

(٢٨٥) سورة الزخرف ٣٦.
(٢٨٦) سورة المجادلة ١٩.

إياه[٢٨٧]. والكذاب هو المختار، والمبير الحجاج.

كان المختار يدعى أن جبريل يأتيه بالوحي، وإنما الشياطين تأتيه، وكان يخبر قومه بأشياء غائبة، فإذا لم تقع وخشي فضيحة كذبه قال معتذراً لهم: إن ربي وعدني بذلك ثم بدا له أن لا يفعل[٢٨٨].

كان المختار تأتيه الشياطين بوحيها لتضله فيزعم أنه وحي من الله.

قيل لابن عمر وابن عباس رضي الله عنهم: إن المختار يزعم أنه ينزل عليه الوحي، فقال الأول: ﴿ ... وإن الشياطين ليوحون إلى أوليائهم.. ﴾[٢٨٩]. وقال الثاني: صدق، قال الله تعالى: ﴿هل أنبئكم على من تنزل الشياطين تنزل على كل أفاك أثيم﴾[٢٩٠].

والأسود العنسي الذي ادعى النبوة في اليمن، كانت له شياطين تخبره ببعض الأمور، ولما أراد المسلمون قتله، كانت شياطينه تخبره بما دبره المسلمون، حتى كان يجمعهم ويقول: أنت يا فلان قلت كذا، وأنت قلت كذا وكذا.

والحارث الدمشقي الذي خرج بالشام زمن عبدالملك بن مروان وادعى النبوة، وكان من أحواله أن الشياطين يخرجون رجليه من القيد، وتمنع السلاح أن ينفذ فيه، وتسبح الرخامة إذا مسحها بيده، وكان يرى الناس رجالاً وركباناً على خيل في الهواء ويقول: هي الملائكة، وإنما كانوا جنا، ولما

---

(٢٨٧) صحيح مسلم رقم: ٢٥٤٥ كتاب فضائل الصحابة□مبيرا○ أي: مهلكاً يسرف في إهلاك الناس. و□إخالك○ معناه: أظنك.

(٢٨٨) ......

(٢٨٩) سورة الأنعام ١٢٢.

(٢٩٠) سورة الشعراء ٢٢١ – ٢٢٢.

أمسكه المسلمون ليقتلوه، طعنه الطاعن بالرمح فلم ينفذ فيه، فقال له عبد الملك، إنك لم تسم الله، فسمى الله وطعنه فقتله.

قال شيخ الإسلام ومثل هؤلاء تأتيهم أرواح تخاطبهم، وتتمثل لهم، وهي جن وشياطين، فيظنونها ملائكة، ومن هؤلاء من يتصور له الشيطان ويقول له: أنا الخضر، وربما أخبره ببعض الأمور وأعانه على بعض مطالبه، كما جرى ذلك لغير واحد من المسلمين واليهود والنصارى بأرض المشرق والمغرب، يموت لهم الميت فيأتي الشيطان بعد موته على صورته، وهم يعتقدون أنه ذلك الميت، ويقضي الديون، ويرد الودائع، ويفعل أشياء تتعلق بالميت، ويدخل على زوجته ويذهب، ومن هؤلاء من يرى في منامه أن بعض الأكابر: إما الصديق - رضي الله عنه - أو غيره قد قص شعره أو حلقه أو ألبسه طاقيته أو ثوبه، فيصبح وعلى رأسه طاقيته وشعره محلوق، أو مقصر، وإنما الجن قد حلقوا شعره أو قصوه.

وهذه الأحوال الشيطانية تحصل لمن خرج عن الكتاب والسنة، وهم درجات، والجن الذين يقترنون بهم من جنسهم، والجن فيهم الكافر والفاسق والمخطئ، فإن كان الإنس كافراً أو فاسقاً أو جاهلاً دخلوا معه في الكفر الفسوق والضلا، وقد يعاونونه إذا وافقهم على ما يختارونه من الكفر، مثل: الإقسام عليهم بأسماء من يعظمونهم من الجن وغيرهم، ومثل أن يكتب أسماء الله أو بعض كلامه بالنجاسة، أو يقلب فاتحة الكتاب أو سورة الإخلاص أو آية الكرسي أو غيرهن ويكتبهن بنجاسة، فيغورون له الماء، وينقلونه بسبب ما يرضيهم به من الكفر، وقد يأتونه بما يهواه من امرأة أو صبي إما في الهواء وإما مدفوعاً ملجأ إليه...

قال: وإن كان الرجل مطيعاً لله ورسوله باطناً وظاهراً لم يمكنهم الدخول معه في ذلك، وقد يوجد لأهل البدع وأهل الشرك المتشبهين بهم أحوال عند القبور والمشاهد يظنونها كرامات، وهي من الشياطين، مثل: أن يرى أحدهم أن القبر قد انشق وخرج منه إنسان فيظنه الميت وهو شيطان، أو يوضع مصروع عند القبر فيرون شيطانه قد فارقه، يفعل الشيطان هذا ليضلهم...

إلى أن قال: وهذا باب واسع، فإنا قد رأينا وسمعنا من ذلك ما يطول وصفه، فإني أعرف من تخاطبه النباتات بما فيها من المنافع، وإنما يخاطبه الشيطان الذي دخل فيها، وأعرف من تخاطبهم الشجر والحجر وتقول: هنيئاً لك يا ولي الله، فيقرأ آية الكرسي فيذهب ذلك، وأعرف من يقصد صيد الطير فتخاطبه العصافير وغيرها وتقول: خذني حتى يأكلني الفقراء، وأعرف من يخاطبه مخاطب ويقول، أنا من أمر الله، ويعده بأنه المهدي الذي بشر به رسول الله ﷺ ويظهر له الخوارق، ويأتيه بأشخاص في صورة جميلة، ويقول: هذه الملائكة أرادوا زيارتك، ويقول له: علامة أنك أنت المهدي أنك تنبت في جسدك شامة، فتنبت ويراها، وغير ذلك من مكر الشيطان.

قال: وكثير من الناس قد لا يعرف أن ذلك من الجن، بل قد سمع أن أولياء الله لهم كرامات، وخوارق للعادات وليس عنده من حقائق الإيمان، ومعرفة القرآن، ما يفرق به بين الكرامات الرحمانية، وبين التلبيسات الشيطانية. وقد حدث لكثير من الناس أن الشياطين تحمله وتطير به إلى مكة، أو بيت المقدس أو غيرها، ومنهم من تحمله عشية عرفة إلى عرفة فيقف مع الناس، ثم تحمله فترده إلى مدينته تلك الليلة، ويظن هذا الجاهل

أن هذا من كـرامـات أوليـاء الله . ومن الناس من يأتـي إلى قـبـر الشـيـخ الذي يستغيث به فينزل عليه من الهواء طعام، أو نفقة أو سلاح، أو غير ذلك مما يطلبه، فيظن ذلك كرامة لشيخه، وإنما ذلك كله من الشيطان ولهذا فقد كان أئمة الإسلام يقولون: لو رأيتم الرجل يطير في الهواء أو يمشي على الماء فلا تغتروا به حتى تنظروا وقوفه عند أمر الله ونهيه(٢٩١).

---

(٢٩١) عقود الإيمان لابن مود ص ٢١٥ وما بعدها. وراجع إن زردت الاستزادة مجموع الفتاوى لتقي الدين أحمد ابن عبدالحيم ج ١ ص ٨٢ – ٨٥– ١٦٨ – ١٧٩–، وج ١١ ص ٢٤٨ – ٢٩٠.

الفهرس